

شعبان ١٤٠٦هـ ابريل - مايو ١٩٨٦م







بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة

THE CARAVAN APRIL/MAY 1986

شعبان ١٤٠٦هـ ابريل - مايو ١٩٨٦م

العدد الثامن / المجلد الرابع والثلاثون

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة

توزع مجاناً

المدير العام: فيصل محمد البسام

المدير المسؤول: اسماعيل ابراهيم نواب

رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي

المحرر المساعد: عوني أبوكشك



صناعة المكيفات في المملكة العربية السعودية



حول مؤتمر التعريب الخامس



الحفاظ على الطاقة

العنوان

صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

صممت وطبعت بمطابع الوفاء بالدمام
Designed & Printed By Al-Wafa P. Press- Dammam



أرسل الله، سبحانه، رسله مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل، وأيدهم بالمعجزات الباهرات، والآيات البينات، وجملهم وكملهم بجميع الكمالات الانسانية، حتى يكونوا الأسوة والقدوة لجميع الناس. وقد بين الحق، سبحانه وتعالى، حاجة الناس الى هؤلاء الأنبياء والرسل، فقال عز وجل:

﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ (الحديد ٢٥).

فما معنى النبوة؟.. وما معنى الرسالة؟

النبوة ــ لغة[1]: اسم مشتق من نبا الشيء ينبو نبوة اذا ارتفع متجاوزا غيره ومنه قولهم: نبا السيف ينبو نبوة اذا ارتفع متجاوزا مضرب الفارس.

أو ــ هي اسم مشتق من «أنبأ» فلان غيره ينبئه إنباءً، اذا اخبره بخبر ذي شأن. ولهذا تقرأ (النبوة) بالهمز بعد الواو.

ــ وبها قرأ وَرْش عن نافع، قوله تعالى: **﴿آتيناهم الكتاب والحكم والنبوءة﴾**[2] (الأنعام ٨٩)

ــ وقرأ حفص عن عاصم: (النبوّة) بواو مشددة. والقراءتان صحيحتان ــ كما يقول ابن كثير، ويمكن تصريف الأولى الى الثانية، وذلك بقلب الهمزة والواو وادغامها في الواو، وهو اعلان معروف عند النحاة.

والنبوة شرعا: اعلام الله تعالى من اجتبى من الناس لرفعته، وإعلاء شأنه، بإنبائه بالوحي الذي اراده الله.

والأنبياء: جمع نبي، والنبي فرد من بني آدم، اختاره الله واصطفاه وفضله على قومه، وأوحى اليه بأمر محدد، فان كلفه الله بتبليغ هذا الأمر فهو نبي مرسل، وإن لم يكلفه بتبليغه فهو نبي فقط. وبهذا يمكن تحديد الفرق بين النبي المختار، والرسول المرسل.

فالرسول: يكون مرسلا من قبل الله، سبحانه وتعالى، لقوم، أو أقوام معينين، لتبليغ رسالة، هي تعاليم الله، وأوامره ونواهيه، وما أوحى به اليه.

أما النبي: فهو الذي يوحى اليه بأمر ما، ولم يكلف، أو يؤمر بتبليغه الى عباد الله لاختصاصه به وحده، دون غيره من سائر البشر.

فاذا كان ذلك كذلك ــ فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا. فالنبوة داخلة في الرسالة، والرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة اهلها. فالأنبياء أعم، والنبوة نفسها جزء من الرسالة، والرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف النبوة، فانها لا تتناول الرسالة. فمن أنبياء الله غير المرسلين «يوشع بن نون» صاحب موسى ــ عليهما السلام، فقد نبأه الله سبحانه وتعالى، واختاره ليكون خليفة لموسى وهارون، في بني اسرائيل، وهو الذي مكنه الله من فتح بيت المقدس.

أما الأنبياء المرسلون ــ عليهم الصلاة والسلام ــ فهم المذكورون في القرآن الكريم، وهم:

«آدم، ونوح، وادريس، وصالح، وابراهيم، وهود، ولوط، ويونس، واسماعيل، واسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، واليسع، وذو الكفل، وداود، وزكريا، وسليمان، والياس، ويحيى، وعيسى، ومحمد، ﷺ».

والنبوة، هبة إلهية، لا تأتي اجتهادا أو اكتسابا بانصراف العبد الى العبادة كلية، وتخليه عن سائر المتع النفسية، والرغبات والشهوات المشروعة. وإنما النبوة خصيصة مميزة، يخص بها الله من أهّله واجتباه ليكون من عباده المقربين، ويهيؤه لها بعناية إلهية، ورعاية ربانية فيحفظ عبده المعد للنبوة من الانحراف الفطري، والضلال العقلي، والتلوث النفسي، والدنس الخلقي، فيضفي الحق ــ سبحانه ــ على هذا النبي المختار، كل الكمالات العقلية والنفسية والخلقية، ما يجعله مؤهلا لحمل امانة الوحي، والاضطلاع بشرف هذه النبوة.

سمات الأنبياء وشمائلهم

على أن الباحث المتأمل في صفات من اصطفاهم الله وطهرهم، وفضلهم على سائر الناس، وأهلهم لحمل الامانة، يجدهم جميعا يتفردون بمجموعة عظيمة من الشمائل الكريمة، والخصال الحميدة..

★ **أولها**: الصدق ــ الصدق في الارادة، والصدق في القول، والصدق في العمل، فكل الانبياء المرسلين كانوا صادقين وصديقين معا، بشهادة القرآن.

من مثل قوله تعالى عن ابراهيم: ﴿واذكر في الكتاب ابراهيم إنه كان صدّيقاً نبياً﴾ (مريم ٤١). وقوله سبحانه عن ادريس ﴿واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا﴾ (مريم ٥٦). وقوله عز شأنه ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾ (النساء ٦٩).

★ **ثانيها**: القدرة على حمل الامانة.. والأمانة هي الرسالة، وهي الأمر الالهي، وهي الحكم، وهي القضاء. وهي القدرة على الحفظ، والرواية والنقل، وهذه الأمور جميعا تعتمد أساسا على شخصية النبي المرسل، ومقدرته الذاتية، وحسن تصرفه، وقدرته على الاقناع.

★ **ثالثها**: القدرة على التبليغ.. فيكون النبي صاحب مؤهلات عقلية، وفطرية انسانية، قادرة على استيعاب ثم تبليغ ما يؤمر به، فلا يخفي منه شيئا، ولا ينقص منه شيئا، ولا تعوقه رهبة، أو يحول بينه وبين تأدية رسالته خوف أو رهبة.

وهذه السمة بالذات، تتدخل فيها القدرة الالهية، لأنها هي التي تؤهلهم لتبليغ وتوصيل ما أراده الله لعباده من الهداية والرشاد.

★ **رابعها**: الفطنة، وهذه السمة تعتمد على صفاء الذهن، ودقة الاستيعاب، وسرعة البديهة، الى جانب رفاهة الحس، وفصاحة اللسان، ورقة الشعور.. وفي هذا المعنى يقول شاعر الرسول حسان بن ثابت، في صفة رسول الله المصطفى، ﷺ:

لو لم يكن فيه آيات مبينة
كانت بديهته تأتيك بالخبر

أضف الى ذلك.. أن أنبياء الله ورسله جميعا، كانوا يحملون مؤهلات خاصة، ويتسمون بسمات مميزة في مقدمتها:

★ **عراقة النسب**: وهذه السمة تتصل بعامل الوراثة، حيث يتصل شرف النسب بكل خصائصه ومميزاته من الأصل — وهو الوالد، الى الفرع المولود، ومن هنا كان الأنبياء يبعثون في أشراف أقوامهم، ويتسمون بسمات الترفع عن الدنايا، والتنزه عن كل ما يخل بالشرف.

★ **المثالية**: وهي الكمال الخلقي في القول والعمل، في السر والعلن، والترفع عن الانحراف الفطري، والتحلي بكل ما هو جدير بتأهيل المرء لمقام النبوة.

★ **حاجة البيئة**: وهذا العنصر يرتبط ارتباطا وثيقا بالزمان والمكان، وظروف القوم النفسية والدينية والعقيدية، فكل هذه الامور هي التي تشعر بالحاجة الى بعث نبي، أو إرسال رسول، ليخرج الناس من فساد حياتهم الديني والاجتماعي، الى نور الهداية واليقين.

ويمكننا أن نجد في الفراغ الذي كان قبل ارسال نبي الله موسى وأخيه هارون، دليلا على ذلك، وايضا في الفراغ الذي كان قبل نبوة عيسى ورسالته دليلا آخر، وكذلك في الفراغ الذي كان موجودا قبل البعثة المحمدية دليلا ثالثا. فان هذه الاحوال، وظروف القوم، ومتطلباتهم الروحية كانت تتضرع الى السماء، وتلح مطالبة الخالق بنبوة نبي، ورسالة رسول، لاصلاح العباد والبلاد، وقد وضح هذا الامر جليا في الظروف الدينية والاجتماعية، التي عاشها الحنفاء، قبل البعثة المحمدية، وكانت كل الدلائل تدل على ان نبيا عربيا سوف يبعث، وكانت الارهاصات التي واكبت المولد النبوي، وحياة النبي، ﷺ، تدل على قرب بعث النبي العربي في جزيرة العرب.

★ **وهنا يلمع سؤال في الذهن**: من هو أول رسول أرسله الله؟ وما عدد الرسل؟ ومتى كانت أزمانهم، وأين تقع ديارهم؟

أول رسول هو آدم، عليه السلام، أما الرسل فعددهم ثلاثمائة وخمسة عشر رسولا (٣١٥) وقد ورد ذكرهم في حديث رسول الله، ﷺ، الذي رواه ابو ذر الغفاري، رضي الله عنه. قال: قلت يا رسول الله.. أي الأنبياء كان أول؟ قال: آدم، قلت يا رسول الله: أنبيٌّ كان؟ قال: نعم، نبي مكلم، قلت يا رسول الله: كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا».

وفي رواية اخرى: «كم وفاء عدد الأنبياء؟ قال: مائة ألف، وأربعة وعشرون ألفا، (١٢٤٠٠٠) الرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا»[٣].

وفي هذا الخبر المرفوع دلالتان واضحتان:

أولاهما: أن آدم كان نبيا، وهو أول الأنبياء المرسلين، وان الله، تعالى، كلمه وأوحى اليه.

والثانية: ان عدد الانبياء والمرسلين كان جما غفيرا.

وقد جاء في القرآن العظيم ما يدعم هذا الخبر، في قوله تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ (النحل ٣٦). وقوله سبحانه: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ (فاطر ٢٤).

ومن المهم ان نعرف: أن صحابة رسول الله، ومن جاء بعدهم من علماء المسلمين قد أقروا وآمنوا بما جاء عن الرسول المصطفى، ﷺ، فأقروا بنبوة آدم، وأيقنوا ان عدد الأنبياء «مائة وأربعة وعشرون ألفا» وان عدد المرسلين منهم ثلاثمائة وخمسة عشر رسولا. ولا تثريب عليهم في ذلك، لعدم وجود ضرر يترتب على الأخذ بهذا الخبر، اذ هو كأخبار بني اسرائيل، تصح روايتها للاعتبار بها، اذا لم يوجد في القرآن ما ينافيها او يتنافى معها.

فان قيل: بل جاء في القرآن ما يتنافى معها، وهو قوله تعالى: ﴿منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾ (غافر ٧٨).

قلنا: المنفي هنا هو اخبارهم واسماؤهم واحوالهم مع اممهم اما خبر اجمالي كهذا فانه لا يتنافى مع الآية أبداً.

★ إن أنبياء الله ورسله المذكورين في القرآن خمسة وعشرون رسولا، وقد نص القرآن على ان آدم — أبا البشر جميعا — هو أول المرسلين، وبناء على ذلك فتاريخ الرسل يبتدئ به، فقد كان لنزوله الى الأرض،

وتناسل ابنائه، وتكاثرهم استكمالا لحركة الحياة. اذ به تكمل آدمية الانسان، وبه يتم شرفه، ويتأهل للسعادة في الحياتين الدنيوية والأخروية.

* إن المؤرخين لم يذكروا نبيا من نسل آدم لصلبه الا ما كان من شيث، عليه السلام، فانهم ذكروا انه كان حفيدا لآدم، وقد أنزل عليه عدة صحف تعرف بصحف شيث.

* وقد بعث بعده نبي الله ادريس — عليه السلام — وقد ورد ذكره في القرآن، في قوله تعالى: ﴿**واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين**﴾ (الأنبياء ٨٥) وتقول المصادر القديمة انه من ذرية شيث عليه السلام.

* ثم ارسل الله نوحا، عليه السلام، يقول تعالى: ﴿**انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده**﴾ (النساء ١٦٣).

ثم جاء بعده: هود، فصالح، فابراهيم، فلوط، فاسماعيل، فاسحاق، فيعقوب، فيوسف، ثم شعيب، فموسى، فهارون، فداود، فسليمان، ثم الياس، فأيوب، واليسع، وذو الكفل، ويونس، وزكريا، فيحيى، وعيسى، ثم كان محمد، ﷺ، خاتمهم اجمعين.

وهذا الترتيب الذي ذكرناه، جاء وفقا للترتيب الزمني لكل منهم، وهو أقرب الى الصواب، لولا الغموض في تحديد زمن كل من يونس وأيوب وذي الكفل واليسع. ومهما يكن من امر، فان المطلوب منا ليس التحديد الزمني، وانما هو الايمان بهم جميعا، بوصفهم رسل الله، وحملة وحيه، ثم اتباعهم والاقتداء بهديهم وسيرتهم.

أين مواطن هؤلاء الرسل؟ وأين ديارهم؟

إن الباحث المطلع على تاريخ الرسل، سواء في القرآن، أو في مجهود المفسرين والمؤرخين، يستطيع ان يدرك ان ديارهم كانت في منطقة الشرق الاوسط، فيها ولدوا وبعثوا، وفيها عاشوا مع أقوامهم، وفيها ماتوا ودفنوا.

* فابراهيم الخليل، عليه السلام، بعث بالعراق، وعاش بها فترة قبل ان يهاجر الى ارض كنعان، فيتنقل بين مدن الحجاز والشام، وأرض المعاد حتى توفاه الله تعالى.

* واسماعيل ابنه، عليه السلام، ولد بالشام، وانتقل مع أبيه، فعاش بمكة المكرمة، وفيها بعث وأخذ يدعو الى عبادة الله حتى توفاه الله.

* واسحاق، أخوه، بعث بأرض العراق، ثم أعقبه ولده يعقوب، الذي هاجر بعد مبعثه الى مصر، فعاش بها مع اولاده، ولعله توفي بها.

* يوسف، أرسله الله من بعده، فعاش في ارض النيل بمصر حتى مات بها.

* أما موسى وهارون، فقد ارسلهما الله بعد يوسف، وعاشا بين مصر وسيناء الى ان توفاهما الله.

* وأرسل الله داود، في أرض المقدس، ثم توالت أنبياء بني اسرائيل على ارض الشام.

* وكان آخرهم عيسى، عليه السلام، فولد في بيت لحم، وعاش بأرض المقدس، حتى رفعه الله تعالى اليه.

* ثم بعث الرسول الكريم، محمد، ﷺ، بمكة، فولد بها وعاش، الى أن هاجر الى المدينة المنورة. من ارض الحجاز، فعاش بها عشر سنوات، وبها توفي، وبها قبره الشريف.

* وأما نوح، عليه السلام، فلا يبعد أن مبعثه كان بين الشرقين الأوسط والأدنى.

* وأما هود وصالح وشعيب، فكانوا بأرض العرب، في جنوب الجزيرة العربية، ما بين حضرموت والشحر. وصالح كان في شمالها ما بين الشام والحجاز، وشعيب في غربها بأرض مدين جنوب الأرض. ولوط، عليه السلام، كان قد هاجر مع ابراهيم الخليل من أرض بابل بالعراق، فبعثه الله تعالى الى المؤتفكات، وكانت خمس مدن كبيرة، أشهرها مدينة سدوم، وعمورة، فأهلك الله تلك البلاد لفسادهم وخبثهم، ونجّى لوطا ومن معه من المؤمنين، فانتقلوا الى ارض الشام، وأقاموا بها، يقول القرآن: ﴿**ونجيناه ولوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين**﴾ (الانبياء ٧١).

ولقد فهم بعض الباحثين ان الرسل الذين اورد القرآن أنباءهم إنما بعثوا الى المنطقة العربية وحدها، وتساءلوا.. هل كانت هذه المنطقة وحدها هي موطن النبوات فقط؟

وهل خلت الأرض فيما عدا هذه المنطقة من الأنبياء والمرسلين؟

لقد ذكر القرآن ان الحق، تبارك وتعالى، أوحى الى رسل كثيرين، في أمم شتى، منهم من قص علينا نبأه، ومنهم من لم يقصص علينا نبأه، فقال عز وجل: ﴿**ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾ (النحل ٣٦). وقال سبحانه: ﴿**إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير**﴾ (فاطر ٢٤).

اذا فقد أرسل الله رسله الى أمم شتى، في انحاء الأرض، وأوحى اليهم ان يكونوا هادين ومبشرين ومنذرين، لئلا يكون للناس على الله حجة، فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا. هؤلاء هم رسل الله، وهذه هي مواطنهم..

ولقد تحدث القرآن، وخص قوما منهم بأنهم «أولوا العزم من الرسل»، فقال: ﴿**فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل**﴾ (الأحقاف ٣٥).

وقد حدد القرآن ماهيتهم، وبين عددهم واسماءهم، جاء ذلك في قول الحق سبحانه: ﴿**وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا**﴾ (الاحزاب ٧). فكاف الخطاب في قوله تعالى: ﴿**ومنك**﴾ تعني محمدا، ﷺ، فهو امام الانبياء والمرسلين. ومقدم لفظا وفضلا، ويأتي من بعده أربعة منهم، وهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى، وهم مرتبون في الفضل

والزمن، فنوح أولهم، وعيسى ـ عليه السلام ـ آخرهم، فصلوات الله عليهم اجمعين.

يقول الحق سبحانه وتعالى في تفضيل اولي العزم، ﴿**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليـك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى**﴾ (الشورى ١٣).

ولقد شاء رب العزة أن يكرم أنبياءه ورسله، وأن يرفع من قدرهم، فجعل الايمان بالله مقترنا بالايمان بالرسل، أي أن الايمان بالله لا يكون تاما الا اذا ارتبط به الايمان بالرسل. أو بمعنى آخر.. شـاء الله ان يجعل الايمان بالرسل جزءا من عقيـدة التوحيد، عقيـدة الاسلام، فألزَمَ عباده المؤمنين الموحدين، بالايمـان برسله، حتى يكون ايمانهم كاملا شاملا.

والايمان بالرسل ـ معناه ـ التصديق الجازم بأن لله العظيم رسلا، أرسلهم لارشاد خلقه في معاشهم ومعادهم. وأوجب رب العزة ـ سبحانه ـ الايمان بهم جميعا، سواء من ورد اسمه منهم في القرآن، او لم يرد، فيكون الايمان جملة بأن لله رسلا غيرهم، وأنبياء لا يحصي إلا الله عددهم، ولا يعرف أقوامهم، ولا يعلم اسماءهم الا العليم الخبير. وفي ذلك يقول الحق سبحانه لرسوله ﴿**ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك**﴾ (النساء ١٦٤). وحكمته ـ جل شأنه ـ في ذلك.. دعوة أممهم الى الايمان بالله، وعبادة الله وحده.

هؤلاء الرسل أوجب الله على المؤمنـين تصديقهم في كل ما جاؤوا به، والايمان بأنهم بلّغوا جميع ما ارسلوا به على ما امروا به، وبينوه لأممهم بيانا شافيا كافيا.

وأوجب أيضا على المؤمنين الايمان بأنهم معصومون من الكبائر، أما الصغائر فقد تقع منهم لأنهم بشر، والكتاب والسنة يدلان على ذلك، وقد وفقهم الله للتوبة منها.

وأوجب الحق ـ سبحانه ـ على المؤمنين احترامهم، وتقدير دورهم، والاعتراف برسالاتهم، وان لا نفرق بينهم، كما أوجب الاهتداء بهديهم، والائتمار بأمرهم، والكف عما نهوا عنه.

وأوجب الحق، كذلك، على المؤمنين الاعتقاد الراسخ بأنهم اكمل الخلق علما، وأصدقهم قولا، وأبرَّهم فعلا، وقد خصهم الله بفضائل لا يلحقهم فيها أحد، وبرأهم من كل فعل رذيل.

وهؤلاء الرسل، لكونهم من البشر، بعثهم الله لهداية البشر، فيجوز في حقهم شرعا وعقلا كل ما يدور على البشر.. النوم، واليقظة، والنكاح، والأكل، والشرب، والجلوس والمشي، والفرح والحزن، وسائر الاعراض البشرية، التي لا تؤدي الى نقص في مراتبهم العلية، فهم بشر يعتريهم ما يعتري سائر البشر فيما لا علاقة له بتبليغ احكام الله، وشرائع الله. وقد تمتد اليهم أيدي الظلمة، وينالهم الاضطهاد، وقد يقتل الأنبياء، كما أخبر الله تعالى: ﴿**ويقتلون الأنبياء بغير حق**﴾ (آل عمران ١١٢).

ومن الأدلة القرآنية على انه يجوز في حق الأنبياء والرسل أشياء يتساوون فيها مع سائر البشر، قول رب العزة: ﴿**وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم لَيأكلون الطعام ويمشون في الاسواق**﴾ (الفرقان ٢٠). وقوله سبحانه: ﴿**ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صِدِّيقة كانا يأكلان الطعام**﴾ (المائدة ٧٥)، ويقول النبي المصطفى، ﷺ، عن نفسه: «.. لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء» وكان، ﷺ، يمرض ويتألم ويشتكي، وكان يصيبه الحر والبرد، والجوع والعطش، والغضب والضجر والتعب.

لقد قدم لنا القرآن الكريم الأدلة على أن هؤلاء الرسل أصدق الخلق على الاطلاق، من مثل قوله تعالى ﴿**والـذي جاء بالصدق وصَدَّق به أولئك هم المتقون**﴾ (الزمر ٣٣). وقوله عز شأنه: ﴿**هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون**﴾ (يٰس ٥٢).

ومن دلائل صدق النبوة تأييد الله لهم في دعواتهم، بالآيات والمعجزات. فقد أيد موسى، عليه السلام، بالآيات البينات. قال تعالى: ﴿**ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات**﴾ (الاسراء ١٠١) كما أيد الله سائر رسله بما يناسب عصرهم وبيئاتهم، واحتياجات مواطنيهم. يقول سبحانه: ﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**﴾ (الحديد ٢٥).

وقد أوجب الحق سبحانه ـ على كل مسلم مؤمن الايمان برسل الله كلهم، ولا يفرق في الايمان بهم بين رسول ورسول كما حدث من اليهود والنصارى، حيث آمن اليهود بأنبياء بني اسرائيل، وكفروا بعيسى بن مريم ومحمد، ﷺ. ولا كما آمن النصارى بكافة الأنبياء، وكفروا بخاتمهم وامامهم محمد بن عبدالله ـ ﷺ ـ اذ الكفر بواحد من أنبياء الله ورسله كفر بجميعهم. يقول سبحانه: ﴿**آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله**﴾ (البقرة ٢٨٥).

وقد جمع القرآن منهم ثمانية عشر في سورة احدة، وهو قول الحق سبحانه: ﴿**وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه، نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم، ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا، ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون، وكذلك نجزي المحسنين، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين، واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين**﴾ (الانعام ٨٣ ـ ٨٦).

وجاء ذكر الأنبياء السبعة الباقين في عدة سور من القرآن الكريم، وهم آدم، وادريس، وهود، وصالح، وشعيب، وذو الكفل، وخاتمهم محمد، ﷺ.

ومما لا ريب فيه ان الايمان برسل الله يقتضي الايمان الصادق الجازم بخاتمهم، محمد بن عبدالله، ﷺ، الذي بعثه الله رحمة للعالمين، ﷺ □

---

(١) انظر «المعجم الوسيط» مادة «نبا».
(٢) «تفسير ابن كثير» ج/٢.
(٣) رواه الامام احمد في مسنده ١٧٨/٥، ١٧٩، ٢٦٦.

الشيخ محمود قبادو وديوانه

١٢٢٨ - ١٢٨٨هـ / ١٨١٢ - ١٨٧١م

بقلم: د. نقولا زيادة / بيروت

تمهيد حياة الشيخ محمود قبادو عبر الجزء الأكبر من القرن الماضي، وتتفق ايام نتاجه الخصب مع فترة النهضة التونسية التي عرفتها تلك الديار ايام ثلاثة من البايات هم احمد المشير (١٢٥٢ - ١٢٧١ هـ/١٨٣٧ - ١٨٥٤م) ومحمد (١٢٧١ - ١٢٧٥ هـ/ ١٨٥٤ - ١٨٥٩م) ومحمد الصادق (١٢٧٥ - ١٢٩٩ هـ/ ١٨٥٩ - ١٨٨٢م).

وقبادو الشاعر كان واحدا من رجال النهضة التونسية في القرن الماضي، لا من حيث انه شاعر فحسب، ولكن من حيث انه مفكر كبير، على ما سيتضح لنا من هذا الحديث الذي نسوقه عنه في هذه المقالة. ولكن قبل ذلك سوف نضطر ان نعود قرنين وبعض القرن زمنيا، نشير الى ما أصاب تونس في الفترة العثمانية التي بدأت سنة ٩٨١ هـ/١٥٧٤ م. ورغبة منا في تجنب التفصيل حول هذه القضية، فاننا نقسم هذه الفترة الى قسمين الاول وهو عهد الحكم المباشر والدايات والبايات (٩٨١ - ١١١٧ هـ/١٥٧٤ - ١٧٠٥م) والثاني هو العهد الحسيني.

فالحكم المباشر هو الذي استنَّه سِنان باشا لما احتل تونس. حيث ألحقها بالولايات العثمانية وكان يتولى أمرها والٍ له تصرف مطلق في شؤونها، ووضع تحت تصرفه اربعة آلاف من الانكشارية كان رئيسهم يسمى الأغا، وخصص موظفا يعرف بالباي لجباية الأموال الأميرية، كما كان القبودان هو المشرف على الشؤون البحرية. وجمع هؤلاء جميعا في ديوان مقره الحاضرة، وقد ينضم اليه بعض الأعيان للمشاورة. لكن الموظفين جمعوا السلطة والفائدة والمنافع في ايديهم ولحسابهم. فثار الجند واختاروا احد الدايات، وهو رئيس فرقة من الانكشارية، للقيام بالاشراف على الجند وتأمين النظام في البلاد. وقد دامت هذه الفترة قرابة نصف قرن من الزمان، تمتعت فيه البلاد بحكم قوي، وقد هبطها الآلاف من مهاجرة الأندلس، الذين وزعوا على الريف والمدينة. فأحيوا الأرض وأنعشوا الصناعة في الحاضرة وسواها من المدن التونسية، كما ادخلوا صناعات جديدة مثل الشاشية (الطرابيش) ونسج الحرير ونقش الرخام وصب الجبس وصنع الزليج (القيشاني). ونشطت القرصنة التونسية يومها ايضا. وحري بالذكر أن القرصنة لم تكن تعتبر يومها سوى صناعة من صناعات الحرب، يمارسها جميع السكان على شواطيء البحر المتوسط. وبنيت بعض الحصون وأصلحت الحنايا، اقنية المياه الحفصية.

ودالت دولة الدايات وجاءت بعدها دولة البايات. وقد اختلف البايات فيما بينهم وتنافسوا على نحو ما اختلف الدايات من قبل وتنافسوا، وكان ان اصيبت البلاد بالنكبات الكثيرة، بحيث تخلفت الزراعة وتأخرت الصناعة وسادت الفوضى.

وفي سنة ١١١٧ هـ/١٧٠٥م، تولى حسين بن علي شؤون تونس بعد ان نودي به، ووافقت الدولة العثمانية على ولايته. وكان هذا بدء الأسرة الحسينية (١١١٧ هـ/١٧٠٥م التي دامت في الحكم الى سنة ١٩٥٧).

وهنا يجدر بنا ان نلقي نظرة على ما كان يحمل من تونس الى الدولة العثمانية. فقد «تقرر من الحقوق التي رسمتها الدولة لتونس عند فتحها هو اعانة الدولة العثمانية بالسفن الحربية وما يلزمها في الحروب، وهدايا ترسل من الوالي الى دار الخلافة عند ولايته، أو عند ولاية سلطان جديد، أو عندما توجد مناسبة للاهداء. والأغلب في هذه الهدايا ان تكون من انتاج البلاد كالخيل والحيوانات الغريبة من الصحراء، والمنسوجات الحريرية والصوفية، ومنها راية متقنة تصنع عند ولاية السلطان فقط، ويكتب فيها آيات قرآنية كريمة وأبيات من البردة وتزركش بالفضة. ومنها ايضا السروج المحلاة وسبح المرجان والعنبر والطيب والأسلحة المرصعة بالمرجان. ومنها التمر والزيتون والسمن والشمع». إلا ان هذه الهدية توسع نطاقها مع الوقت فأصبحت «من المال والمجوهرات، ولذلك أصبحت عبئا على كاهل اهل البلاد». وقد كانت الهدية أصلا برسم السلطان فأصبح الذين تصلهم الهدايا بعد ذلك، فضلا عن الذات السلطانية، الصدر الأعظم وخواص الوكلاء مثل قبطان باشا والسر عسكر وأمثالهم». ففيما استن سنان باشا الامور على قدر ما يستطيعه البلد، ضاعفها اصحاب الامر مرات.

وفي العصر الحسيني الأول الذي يمتد حتى سنة ١٢٥٢/١٨٣٧، بليت البلاد بحروب داخلية كثيرة، كما تعرضت لهجوم من الجزائر، وتنمّرت فرنسا بسبب ترخيص لفرنسيين بصيد المرجان، لكن الأمر سُوِّي. وأسهمت تونس في الحرب العثمانية الروسية (١٧٧١) بسفن (كان عددها خمسا أو ستا) محملة بالذخيرة والميرة والجنود.

وقوي النفوذ الفرنسي تدريجيا، وخاصة بعد احتلال فرنسا للجزائر (١٨٣٠)، كما ان انكسار الاسطول العثماني قبل ذلك في معركة نفارينو (نفارين) سنة ١٨٢٧ كان ذا أثر بالغ في تمييع العلاقة بين تونس والدولة العثمانية.

يقول الدكتور الهادي حمودة العزي في كتابه الأدب التونسي في العهد الحسيني: «وكانت تونس في مطلع القرن الثامن عشر وأول العصر الحسيني لا تختلف عن سائر الولايات العثمانية في الجمود والركود الفكري والكساد الأدبي. وما يوجد فيها من المعارف قديم تطور الزمن وبقي على حاله، وهو لا يتعدى الدراسات الفقهية واللغوية وحواشي الكتب القديمة وما عليها من الشروح. وكانت الدروس غير مضبوطة ولا منظمة. وغاية ما يحصل عليه التلميذ في المرحلة الابتدائية القرآن الكريم وحفظ المتون ويكون هذا في الكتاتيب. ثم يدخل المرحلة الثانوية وهذه كان مجالها الزوايا والمدارس.. اما العلوم التي تدرس فعلوم نظرية مقصورة على الفقه والأصول والتفسير والبلاغة واللغة والتاريخ. ولم نر في العصر الحسيني اثرا للدراسات التطبيقية كالرياضيات او الطب مما نتج عنه ركود فكري عام[1] ».

على انه كان لا بد لتونس، وقد اخذت الدولة العثمانية ومصر وبلاد الشام بأساليب التقدم، من أن يصيبها من النهضة والتقدم حظها. وقد عمل البايات الثلاثة المشير احمد باي ومحمد باي ومحمد الصادق باي في سبيل ذلك الكثير.

فالمشير احمد كان يخطط وينظم، وقد انشأ المدرسة الحربية سنة ١٢٥٥ هـ/١٨٤٠م في باردو. وكانت هذه المؤسسة، على قصر عمرها، نقطة التقاء للشيوخ المدرسين فيها وللتلاميذ الذين انضموا اليها من الاساتذة الاوروبيين الذين درسوا فيها. كما عني المشير احمد بالادارة العامة وبالجيش والاسطول واهتم بجامع الزيتونة. وفي ايام محمد باي نشر «عهد الامان» وأنشىء المجلس الشرعي والمجلس البلدي وادخلت الطباعة العربية الحرفية. وشهدت ايام محمد الصادق باي، خاصة بعد ان تخلص من الوزير مصطفى خزندار، انشاء الرائد التونسي والمدرسة الصادقية. هذا فضلا عن اصلاحات ادارية وقضائية واقتصادية وتعليمية، وهي شؤون لا نستطيع تفصيلها في هذا المقال، التي يرجع الفضل فيها لخير الدين لولب الاصلاح، خاصة لما تولى الوزارة (١٢٩٠ـ ١٢٩٥ هـ/١٨٧٣ـ ١٨٧٧م). لكن خصوم خير الدين نجحوا في زحزحته عن رئاسة الوزارة، فغادر تونس الى الاستانة (١٨٧٨). وهناك ولاه السلطان العثماني رئاسة الوزارة في العاصمة.

في هذه الفترة المهمة في تاريخ تونس عاش الشيخ محمود قبادو. ويتحتم علينا، قبل ان نتحدث عن دوره في الحركة الاصلاحية، ان نورد هنا خلاصة لترجمته في الادوار الأولى من حياته.

ولد أبو الثناء محمود قبادو في تونس (١٢٢٨هـ/١٨١٢م) وتلقى تعليمه الأولي في مدارسها المعروفة. لكن محمود قبادو كان ينكب على قراءة كتب التصوف. وخرج من تونس الى طرابلس حيث التقى بمحمد ظافر المدني، صاحب الطريقة الصوفية المشهورة، فلازمه في زاويته. ولما عاد الى تونس، بعد ثلاث سنوات (١٢٥١هـ/١٨٣٥م)، كان معدا اعدادا تاما للتدريس، ومع ذلك فقد حضر دروس أئمة الجامع الأكبر، جامع الزيتونة، فلما تم له ما اراد تفرغ للتدريس.

لكن قبادو لم يلبث ان ذهب الى روما، ومنها انتقل الى الاستانة. وعاد الى تونس (١٢٥٧هـ/١٨٤١م). وقد كان لهذه الرحلة اثر مهم في تفكيره. فقد انصرف في تركية الى العلوم الرياضية، ويبدو انه اطلع على نواح من التاريخ لم تكن متيسرة في تونس. وصقلت الاتصالات هناك والمناقشات قدرته البيانية ودربته على المقارعة والمحاجة فكرا وكتابة وشعرا.

وفي سنة ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م، أنشأ المشير أحمد باي مكتب العلوم الحربية، أو مكتب المهندسين، في المحمدية، على نحو عشرة اميال من الحاضرة. كانت الغاية من انشاء هذه المؤسسة اعداد الضباط التونسيين للخدمة في الجيش. كان مدير المدرسة ايطاليا أما الأساتذة فكانوا ايطاليين وفرنسيين وبريطانيين. وكان الاشراف على المدرسة لخير الدين. وجاءت عودة قبادو من الاستانة قريبة من افتتاح مكتب العلوم الحربية، فعين فيها استاذا للعربية ومدرسا للعلم الرياضي ومشرفا على الشؤون الدينية للطلاب «وعهد اليه، بالاشتراك مع المدير الايطالي، ونخبة من طلبة المؤسسة في تحرير خلاصة دروس الاساتذة الاجانب وترجمة كتب اوروبية في الفنون الحربية. وقد بلغ عدد الكتب التي ترجمت على هذه الطريقة اربعين كتابا». وما زال ثمة آثار من هذه الكراريس في تونس هي بحاجة الى الكشف عنها، لتوضيح دور الجماعة التي عملت فيها، على الأقل.

وقد أتاح وجود هذه المؤسسة، على ما يرى زين العابدين السنوسي (محمود قبادو، تونس ١٩٥١) الى «امتزاج افراد من أساتذة الغرب، بأستاذ عظيم من علماء الزيتونة، الذي هو مركز الحياة العلمية الاسلامية بتونس في ظل القصر الملكي وبتأييد الملك وتشجيعه، ورعاية وزيره وشيخ دولته، ومباشرة نابغ. من صفوة حاشيته، لجدير بأن يحدث احتكاكا بين العقلية الغربية والعقلية الاسلامية، تنقدح منه شعلة مذهب فكري حقيقي، له نظرياته الأصلية وقواعده الأساسية، واتجاهاته المجردة التي تصور الأشياء على ما هي عليه حقيقتها وذاتها»[2].

ولما أقفل المكتب الحربي بعد وفاة المشير احمد باي، انتقل قبادو الى الزيتونة شيخا من شيوخ الطبقة الأولى. وفي ايام محمد

الصـادق باي ، وُلّي قضاء باردو ثم وُلّي الفتـوى على المذهب المالكي . وكان ايضا متولي تحرير الرائد التونسي . وظل في ذلك الى حين وفاته سنة ١٢٨٨ هـ/١٨٧١ م ، أي قبل ان تحتل فرنسة القطر التونسي بعشر سنوات .

يعتبر محمود قبادو من سادة القلم في تونس في أواسـط القرن الماضي ، وهذا ينطبق على نثره كما ينطبق على شعره . ودوره في تونس انه واحد من قادة الحركة الاصلاحية النابهين . فهو وخير الدين هما اللذان دفعا بفكرة الاصلاح بعيدا . ولا يمكننا في مثل هذه العجالة ان نفي محمد قبادو حقه ، فذلك يحتاج الى كتاب . لذلك فاننا سنكتفي في هذا الحديث بأن نضع بين يدي القراء ما يمكن ان يعتبر علامة على الطريق .

لمحمود قبادو المصلح اهميته الخاصة في انه ادرك العلة في التأخر الذي منيت به الأمة ، وخلص باجتهاده وتفكيره ، الى وصف العلاج . وهناك امران يتضح فيهما موقفه من الأمة بشكل خاص . أما الأول فهو رأيه في الحكومة ، وأما الثاني فرأيه فيما يتعلق بالعلوم اللازمة للعالم الاسلامي ، كما كان يرى القضية .

أما رأيه في نوع الحكم فقد ذكره في رسالة نشرت سنة ١٢٨٥ هـ/١٨٦٨ م ، وها نحن ننقلها بنصها راجين من القراء تحمل هذا السجع الذي لم يكن قبادو يتخلى عنه ، لكنه سجع ليس بالثقيل . قال : « ... ولما كان العدل نظاما لعقد العمران ، وعهدا لخلافة الانسان ، وجب ان يتحرى في تحصين سياجه عن تطرق الظنن ، وترصين معقله بتظاهر المنن ؛ ووزع نوازع الأهواء عن استباحته ، والأخذ بحجز الآراء الى حماية ساحته . ولغلبة سلطان الهوى بما له من الأصالة ، على وزعة الدين والمروءة والحياء المعبر عن مجموعها بالعدالة ؛ تعسر ان يستعصم غير المعصوم عن داعية هواه ، الا بالانقياد لسواه . فالرئيس مفتقر في شدة ازره ، الى الاشراك في امره ؛ والمرؤوس مكلف بانشراح صدره ، للاذعان في المنشط والمكره . ومن ثم كانت يد الله مع الجماعة ، وعصم الاجماع الى يوم الساعة . ولم تزل الشورى في كل ملمة ، ديدن السلف الصالح في هذه الأمة ؛ حتى أثنى عليهم الكتاب المجيد ، اشارة الى انها من سنتهم التي تنكبها ضلال بعيد ، ومثل في الانجيل ما لهم من المؤازرة بزرع أخرج شطأه فآزره . ومن سبر بمسبار الروية اغوار السير ، وجس بأنامل الألمعية نوابض البدو والحضر ؛ واستشرف على استشراء الممالك الاوروباوية وتغطرفها ، واستئسادها وتصلفها ؛ بما فوفته من ابراد الحضارة ، وما اورفته من ظلال العمارة ، لا تخامره ريبة في انها نتائج متناسقة الكعوب ومفارس متضامنة الجنوب . سنخها (أي رسخها) تضافر العزائم والألباب وانعطاف بنات اللباب ، على اطراح الأغراض الشخصية للمصالح الكلية . ثم اذا عطف أعنة النظر الى الممالك الاسلامية وتقراها ، وجاس خلال مدنها وقراها ؛ وتبين ما منيت به من تزايد الغمرات ؛ وتناقص الأموال والأنفس والثمرات ؛ لا يتمارى في ان حورها بعد الكور ، وارتدادها عن النجد في حافرة الغور ، ليس الا لعدم رعاية الحقوق العامة حق الرعاية ، وفشل الحمية بالتنازع المفضي الى ذهاب ريح الحماية . فكأنها مسارح جياد ركبت ارسانها ، وألفت مرحها واستنانها ، لا تكاد تسمح لرعاتها ، بالتخلي عن مألوفاتها . فهي مفتقرة الى تدبر سياسي ، في تأليف ايناسي ، يلهب حميتها الى مساعفة الراضة ويهب اريحيتها الى مساهمة الأمة المرتاضة » .

أما دعوته الى الاهتمام بالعلوم الرياضية فقد جـاءت في مقدمة طويلة لترجمته لكتابين في الحرب وتعبئة الجيوش . كلف قبادو بالقيام بذلك ايام كان في المكتب الحربي . وقد تمت الترجمة ، ونقحها قبادو اذ وضعها في قالب عربي مبين . الا انه كتب مقدمة لذلك (منشورة في ديوان قبادو ، تونس ١٢٩٥/ الجزء الثاني ، ص/٣٣ ـ ٥٨) . وفي هذه المقدمة بين رأيه بالتفصيل في أهمية العلم . وها نحن ننقل هنا قطعة صغيرة من تلك المقدمة . قال : « ... فان الدولة الاسلامية لما نشرت لها راية الرعب ، وخفقت في كل قلب ، لم تزل الكفرة في طلاب المنجاة منها تمشي تحت كل كوكب ، وفي ارتياد المفازة عنها تنتشق كل كوكب .... الى ان قضى القدر المتيح والجد المريح بأن يكون اقبال المراد وابقال المراد في هذا العصر الحديث غب ذلك السعي الحثيث ... فاستحدثوا (أي الفرنج) تلك الطامة الكبرى التي هي احدى الكبر ، وذات الودقين التي لا يعفو لها اثر ، لواحة البشر لا تبقي ولا تذر : الصواعق الصناعية ، الصادرة عن الأسلحة النارية ؛ فأداروا بها دائرة البوار ، على اليلب المدار .... ولما طبقوا بها من امنيته المفصل ، وأصموا من رميتهم المقتل ... عطفوا أعنة أفكارهم الى مقدمة جنودهم وساقتها ، وصرفوا وجوه انظارهم الى قلبها وبحبوحتها ، وعادلوا في كفتي التمييز بين ميامنها ومياسرها ، وشنوا غارات التنقير بين جحافلها ومناسرها ؛ فوجدوا الهيئة التي افرغ القدماء الكتائب في قالبها ، ونظموا الجنود في سلك مراتبها ؛ ليس بينها وبين سلاحهم الناري موافقة ... فرغبوا عنها الى التعابي التي راضوا بالعلوم الرياضية صعابها ، وفتحوا بأقاليد التجربة ابوابها . ولم يزالوا كل آونة يزيدون نغمة في طنبورها ، وبلبلا في صنبورها : يوزعون لها كافة اوزاعهم ، ويجتاحون بها اودية افزاعهم . وصدقت فيهم كلمة الله العليا ، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا . فقل لا قوام عن سنن عوائد الله يعمهون ، وفي تيه اطراح الاسباب يهيمون ؛ قد برح الخفاء ولكن لا تفهمون ، ام هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون . اولئك قوم اتوا البيوت من ابوابها وادمنوا ولن يجيب سبحانه سائلا بلسان القابلية بمنع . وانما الحرمان ان تتنكب السبل عن ضلة او يأس ، وقد قال سبحانه ﴿**وتلك الأيام نداولها بين الناس**﴾ .... على اني اقول كم للعلوم الرياضية والطبيعية في الصحائف الاسلامية من خيرات حسان ... » . ويعود قبادو فيتحدث عن النقص القائم في عالمه فيقول : « وحسبك جلاء لعدم ارتياضهم بالرياضة وانطباعهم بالطبيعة ،

ان ليس بين اظهرهم بالمرايا المحرقة خبير، ولا يعرف منها قبيلا من دبير. بل ربما عدها من رانت على قلبه الكثافة، من خزعبلات خرافة، مع مالها من الجدوى والمزية، مربيا على اسلحتهم النارية».

ولا شك في أن القراء يعرفون ان خير الدين له كتاب اسمه «أقوَم المسالك في معرفة أحوال الممالك» عرض فيه آراءه الاصلاحية. وقد كنا نود ان نعقد مقارنة بين الرجلين وآرائهما، لكن ذلك امر يطول.

ولما عاد قبادو الى الزيتونة بعد اقفال مكتب العلوم الحربية، نشط في نشر آرائه بين جماعة من الزيتونيين، كان في مقدمة الذين اعتنقوا الأفكار وساروا يبسطونها بعد وفاته، سالم بوحاجب ومحمد بيرم، كما تميز من طلابه في المكتب الحربي الوزيران حسين ورستم.

وهناك بطبيعة الحال محمود قبادو الشاعر.

لما قرأت ديوان قبادو، جمع واشراف: محمد السنوسي، تونس، ١٢٩٥، لأول مرة اتعبني. لكن اعادة قراءته، او قراءة اجزاء منه فيما بعد، أظهرت لي شاعرا فحلا، لنترك جانبا مقطوعاته الصغيرة العادية، التي لا يخلو منها شاعر عموما، في شعره عذوبة وجزالة وفكر. فالرجل صاحب اسفار، وابن معرفة، وخدين تجربة. وهذه، متى أتيح لصاحبها الملكة اللغوية تفتقت عن امور جديرة بالعناية. ومحمود قبادو، فيما استطيع القول، كان من خير من عنت له العربية في العصر الحديث.

وقد لخص الدكتور الهادي حمودة الغزي دور قبادو كشاعر اجتماعي بقوله[3]: «... فالشعر الاجتماعي بشّر به الشاعر الحسيني من فجر القرن الثامن عشر، وأفاض فيه في القرن التاسع عشر. وحين جاء قبادو وجده فنا فنهجه ووضحت على يده معالمه. فهو تابع لا متبوع، ومقلد لا مبتكر». وأضاف «... ومهما يكن من امر فان قبادو اول شاعر حسيني يعير الجانب الاجتماعي اهتماما كبيرا في ثنايا قصائده[4]».

لست أشك في أن القراء يحبون ان نضع بين ايديهم نماذج لشعر قبادو. وسنفعل ذلك، لكننا سنقتصر على مقطوعات قصيرة، فقد طال المقال.

قبادو كان، من حيث موضوعات الشعر، على غرار معاصريه فقد نظم مهنئا ومادحا وراثيا ومتأملا في الحياة وفي الاصلاح. ونفحته الشعرية، التي تثير القارىء، موجودة في الكثير من شعره.

وأود أن أختار لهذا المقال مقطوعتين في الرثاء الواحدة من قصيدة طويلة له في رثاء محمد بيرم الرابع شيخ الاسلام. جاء فيها:

فالقلب بين تلهف وتلهب ... وتحسر وتأسف متوزع
والعين بين تأرق وتدفق ... وتقلب وتشوف تترجع
والجسم في رحضائه مستغرق ... فكأن سائره عيون تدمع
تبكي لمصباح طوت مشكاته ... نورا به تجلي القلوب السفّع
كيف العزاء وما له من خالف ... ومصاب من عدم الخليفة افجع
لله أفئدة هنالك اضرمت ... وجدا، واكباد هناك تقطع
مما يسلي أهل ودّك علمهم ... إن الممات سبيل دار تجمع
ويقينهم ان الممات ولادة ... وجميع من في الارض حمل يوضع

والثانية من قصيدة رثى فيها مصطفى البلهوان، جاء فيها:

سائل النفس قبل فوت الأوان ... ما أعدت لمثل هذا المكان
يا خليلي خبراني بحق ... هل اهذي نهاية الانسان
هو والله ما علمنا ولكن ... رب وهم غطى على برهان
إن ريب المنون ليس بريب ... لا على سوقة ولا سلطان

وهذه أبيات ثلاثة تحتوي على بعض ما ورد في رسالته عن نوع الحكم. يقول:

العدل عهد خلافة الانسان ... ومداد ظل الأمن والعمران
وتمدن البشر اقتضى ايلافهم ... بتعاضد من دائن ومدان
وتطامح الخلطاء لاستبدادهم ... بالقتل داعيهم الى العدوان

لما طبع الجزء الأول من ديوان قبادو ارسل محرره محمد السنوسي نسخا منه هدايا الى عدد من اهل العلم والفضل في تونس ومصر والحجاز وبلاد الشام. وقد وصلت من هؤلاء تقاريظ للكتاب، منها الشعري ومنها النثري.

والظاهرة التي تلفت في هذا الامر هذا التواصل الذي كان قائما بين اهل الفكر على تباعد الديار، وصعوبة التواصل والاتصال. فمن المدينة المنورة كتب الشيخ علي الوتري وابراهيم سراج. وكتب من مكة المشرفة (كما سماها السنوسي في الديوان) احمد اديب القرشي. وجاءت من مصر رسائل من الشيخ محمد احمد النجار، من الأزهر. ومن تادرس وهبي معلم اللغات بمدرسة حارة السقايين. وكتب من بيروت كل من ابراهيم الأحدب محرر ثمرات الفنون ورئيس كتاب المحكمة الشرعية والسيد حسني بيهم. وثمة اسماء أخرى كثيرة.

وهذا نموذج من تواصل العلماء في القرن التاسع عشر □

الحواشي

(١) الأدب التونسي في العهد الحسيني ص/٢٥، تونس ١٩٧٢.
(٢) المصدر السابق ص/١١.
(٣) المصدر السابق ص/٢٠٤.
(٤) المصدر السابق ص/٢١٢.

أطباء بني زهر الأندلسيون (٢)

الطبيب الأندلسي

عبدالملك بن محمد بن زهر الايادي

المعروف بـ «الأب»

بقلم: فاضل السباعي / دمشق

أحسنت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم صنعا ـــ وان جاء متأخرا ـــ بنشرها «كتاب التيسير في المداواة والتدبير» للطبيب الاندلسي الاشهر «ابي مروان عبدالملك بن زهر». هذا الكتاب الذي كان له، في معاصري مؤلفه (المتوفى سنة ٥٥٧هـ)، تأثير عظيم استطال زمنا حتى استغرق اجيالا، واندداح مكانا حتى شمل مدنا في اوربة خلال القرون الوسطى، ذلك انه تمت ترجمة الكتاب الى اللغة اللاتينية، وظلت جامعات اوربية تدرسه لطلابها ردحا طويلا!

في هذا الكتاب ـــ الموسوعة، نجد علما في الطب وافرا غزيرا كثيرا ما يقدمه صاحبه لنا مقرونا بالتجربة. وان قارىء الكتاب، اليوم، ليعجب باستقلال مؤلفه بآرائه، وبجرأته على نقد الخاطىء من آراء المتقدمين السابقين، كما يقول المستعرب الفرنسي الطبيب «غبرييل كولان» في دراسته عن ابن زهر، التي كانت موضوع اطروحته للحصول على درجة الدكتوراه في الآداب من جامعة باريس سنة ١٩١١ م.

والواقع ان عبدالملك بن زهر، كان واحدا من عدة اطباء نبغوا في «اسرة زهر» الاندلسية. فهو قد اخذ صناعة الطب عن ابيه «ابي العلاء زهر»، هذا الذي تلقاها عن الجد «عبدالملك بن محمد»، الذي كان قد تعلم الطب في المشرق قبل ان يعود الى وطنه ليداوي الناس والامراء والملوك. ولكن الحقيقة التاريخية تقتضينا متابعة الحديث الى القول بأنه قد نبغ، في هذه الاسرة الطبية العربية العريقة، ثلاثة اطباء آخرون في ثلاثة اجيال متعاقبة اخرى!

وبعد، فان قارىء «كتاب التيسير» يصادف تقديرا ملحوظا من المؤلف نحو ابيه الطبيب «ابي العلاء زهر»، الذي عرف في المصادر التاريخية باسم «الأب»، مثلما عرف ابوه بـ «الجد»، وعرف ابنه صاحب «التيسير بـ «الأبن»!

ألف الأب، «ابو العلاء زهر»، في الطب نحو عشرة كتب سماها لنا ابن ابي اصيبعة في كتابه «عيون الانباء في طبقات الاطباء»، لم يصل الينا منها الا اربعة، محفوظة نسخ منها في بعض المكتبات العالمية، في باريس ولندن وفيينا واستنبول. واما ما كتب عن ابي العلاء، حياته وطبه، فلا يتعدى نبذا صغيرة نعثر عليها في بعض المصادر التاريخية القديمة.

ولكن الابن، الطبيب عبدالملك، يحدثنا في «التيسير» (الذي صدر مطبوعا سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، محققا من قبل الدكتور ميشيل الخوري)، عن ابيه ابي العلاء زهر، حديثا مستطابا مضمخا بالتقدير والاعجاب ... وكيف لا، وهو ـــ فضلا عن كونه اباه ـــ استاذه الذي عنه اخذ صناعة الطب، وبين يديه ادى عهد الله وميثاقه قبل ان يزاول مهنته الانسانية؟

يعترف لنا عبدالملك بأن أباه وكان متشددا معه، وحازما، لدى تلقينه اصول الطب. وربما رأى الاب انه قد آن أوان ان يدع ابنه لنفسه يستنطقها الحلول لما يصادف من الاعراض والامراض في مداواته الناس، دون ان يرجع اليه لارشاده، فان عجز الولد عن المداواة ... فليترك الطب اذن!

ففي احد فصول «التيسير»، يحدثنا عبدالملك عما يصيب الامعاء من «استرخاء في القوة الطبيعية» يجعلها قاصرة عن ان تدفع الثفل الى اسفل ... يقول الابن، مستدعيا ذكرى في نفسه قديمة:

«رأيت — وأنا فتى — هذه العلة عرضت لرجل قرياتي (قروي، بلغة اهل الاندلس والمغرب) شرب ماء شديد البرد في وقت حر شديد، فأصابه ان ثفله لم يكن ينفذ، وكان يجد وجعا شديدا لا يطيق احتماله». فأعيت مداواته الطبيب الفتى، وكان ابوه في تلك الآونة في مزرعته. فقام يشافه في ذلك من لقي من الاطباء، فما زادوه الا حيرة.

وعندئذ مضى الى ابيه في «باديته» ليسأله. فاذا الأب يمد يده الى كتاب، ويشير الى عبارة فيه لجالينوس: «وانما لضعف من المعى ان يدفع الثفل!»، ثم يعطيه الكتاب وهو يقول: «انصرف»، من غير ان يزيد شيئا! فلما كرر الطبيب الناشيء طلبه في معرفة ما يسعفه في مداواة مريضه، قال الأب: «ردد هذه الصفحة على ذهنك، فان اجدت علاجه فيها ونعمت! وان يكن ما سوى ذلك فقد سخنت عيني بك! (سخنت العين نقيض قرت) واحذر بعد ذلك ان تتعرض لشيء من اعمال الطب!».

وقد انصرف الابن، وهو يقرأ هذه العبارة ويرددها .. حتى لاح له منها ما يغنيه. فعالج الرجل حتى برىء من علته ... يقول عبدالملك: «وبعد برئه لقيت ابي، رحمه الله، فسألني، فأخبرته، فسر، وسري عنه ما كان قد اصابه من الغضب علي!».

وتحدثنا المصادر التاريخية ان «ابا العلاء زهر» قد اشتغل بصناعة الطب وهو صغير، في اشبيلية، ايام المعتضد بالله بن عباد (ولايته: ٤٣٣ — ٤٦١هـ)، ثم جهر في هذا العلم حتى «انس من قبله احاطة به وحذقا لمعانيه»! وتقول احدى الروايات انه «كان، مع صغر سنه، تصرخ النجابة بذكره وتخطب المعارف بشكره، ولم يزل يطالع كتب الاوائل متفهما ويلقى الشيوخ مستعلما، والسعد ينهج له مناهج التيسير، والقدر لا يرضى له من الوجاهة باليسير، حتى برز في الطب الى غاية عجز الطب عن مرامها ...»!

وبعيدا عن هذا الاطراء، المصوغ بعبارات مسجوعة رنانة، يحدثنا عبدالملك، في كتابه، عن حالات مرضية تصدى ابوه لمعالجتها وكان له فيها رأي وجيه ونظر بعيد. فقد اتفق — للأب — ان وقف على علاج رجل، كناه بـ «ابن رزين»، كان مصابا بالسل والهلاس، وقد «نهج له كل ما ينبغي ان ينهجه، حتى عاد لحمه وصلحت حاله». وقد نهى ابو العلاء مريضه عن «الخلوة بالنساء والتخليط بالاغذية، واشد من هذا انه حذره من الحركات القوية، ومن ركوب الخيل العتاق»! ولكن ابن رزين — سامحه الله — «ظن انه قد افاق (اي شفي)، فرجع الى بعض الاعمال التي كان ابي يحذره عنها»، كما يروي الابن في كتابه، فسيقت الى الرجل، يوما، «رمكة» (فرس) «فتن بها، فحركها، فلم يتم النهار الا وقد قذف دما كثيرا، ثم تابع تلك الفعلة بضروب من الاسباب المضرة: النساء والاغذية المذمومة، فمات، ولم تطل بعد هذا النكس مدته».

وانت تصغي الى حديث الأبن عن «الوسواس السوداوي»، الذي تتنوع فيه الاعراض: «فقوم يفزعون مما لا ينفع منه كالموت، وقوم يشتاقون الى الموت ويهوونه بزعمهم»، وان منهم من «تعرض لهم اراء فاسدة» ... وههنا ينقل لنا عبدالملك ما رواه له ابوه من خبر رجل من الجند كان في «شنتمرية»، وكان قد سبق للأب ان رأى في «آرائه وأعماله اختلالا حتى تفاقم امره».

فلقد تراءى للرجل «ان يصنع «حريرة» — نوعا من الطعام — في قعر بئر! فنهض الى السوق واشترى اعدالا من دقيق، وساق الحمالين الى الدار، وامرهم بصب الدقيق في البئر، ثم امرهم بالدخول ليخوضوه، فلم يجيبوه الى ذلك، فروعهم بالسلاح، فصبوا الدقيق كما امرهم! ولما يئس من دخولهم دخل البئر هو بنفسه وجعل يخوضه. ففر الحمّالون واخبروا بذلك! ثم خرج عريانا، وجعل يدعو جيرانه واهل معرفته الى دخول الدار ليسقيهم من ذلك! فلما رأى الناس ذلك اشفقوا عليه، وتوقعوا ان يحدث في نفسه امرا عظيما، فثقفوه وجاؤوا به الى ابي، رحمه الله، وقد كان الرجل من معارفه».

على ان ابن ابي اصيبعة يقول، وهو يطري ابا العلاء زهر، انه كان «يغبر في وجوه الفضلاء علما ومحتدا، ويفوق الجلة سماحة وندى، لولا بذاء لسان وعجلة انسان!» ... ثم روى ان تاجرا جاء الى الاندلس قادما من العراق، ومعه نسخة من كتاب «القانون في الطب» للشيخ الرئيس ابن سينا،

و «قد بولغ في تحسينها»، فأتحف بها أبا العلاء تقربا اليه، ولم يكن هذا الكتاب قد وقع بين يديه، «فلما تأمله ذمه، واطرحه، ولم يدخله خزانة كتبه، وجعل يقطع من طرره ما يكتب فيه نسخ الادوية (أي الوصفات) لمن يستفتيه من المرضى»!

ونحن نرى ان هذه القصة مبالغ فيها، ان لم تكن مدسوسة على طبيبنا الاندلسي. ذلك ان من بين الكتب التي الفها، مما ذكره ابن ابي اصيبعة نفسه، مقالة في الرد على ابي علي ابن سينا في مواضيع من كتابه «الادوية المفردة» ... فكيف يستقيم لأبي العلاء ان يكتب مقالته هذه دون ان يقرأ ما كتبه ابن سينا ويأخذه مأخذ الجد؟ لا ان يتأمله، ويذمه ويطرحه.

بلغ ابو العلاء زهر منزلة رفيعة ايام المعتمد بالله، ثالث ملوك بني عباد، الذين آل اليهم امر اشبيلية بعد سقوط الدولة الاموية في الاندلس. والمعتمد بالله كان شاعرا وفارسا، ويعد — كما قال ابن الأبار — من الملوك الفضلاء، والشجعان العقلاء، والاجواد الاسخياء، عفيف السيف والذيل». الا انه تأتى لدولة المرابطين في المغرب ان توحد دويلات الاندلس المتفرقة وتضمها اليها عهد السلطان القوي «يوسف بن تاشفين»، فكان ان سيق المعتمد، سنة ٤٨٤هـ، «اسيرا» الى مدينة «اغمات» على مقربة من دار الخلافة في المغرب! على حين حظي ابو العلاء زهر، لدى الدولة الجديدة، بمنزلة رفيعة وغدا من اطباء امير المسلمين ابن تاشفين وواحدا من وزرائه.

وتقول الرواية ان الحال بلغت بالمعتمد بن عباد، وهو في الاسر، ان اضطرت ام بنيه اعتماد الرميكية، وكذلك اكرم بناته، الى العمل في الغزل للناس لسد بعض الحاجة بأجرته، فكان ان غزلت بنته، فيما ادخل عليها، «غزلا لبنت عريف شرطة ابيها، كان بين يديه يزع الناس يوم بروزه لم يكن يراه الا ذلك اليوم».

وتمضي الرواية قائلة:

«واتفق ان السيدة الكبرى ام بنيه اعتلت، وكان الوزير ابو العلاء زهر بمراكش قد استدعاه امير المسلمين (ابن تاشفين) لعلاجه، فكتب اليه المعتمد راغبا في علاج السيدة ومطالعة احوالها بنفسه. فكتب اليه الوزير مؤديا حقه، ومجيبا له عن رسالته، ومسعفا له في طلبته».

وكذلك يكون الوفاء.

على ان جواد الحظ كبا بأبي العلاء، هو الآخر، في أواخر ايامه. فقد نكب على يد السلطان الابن «علي بن يوسف بن تاشفين» ... وتصمت المصادر التاريخية عن بيان اسباب هذه النكبة، الا من عبارة غامضة وردت على لسان عبدالملك في كتاب «التيسير»: ان امتحان علي بن يوسف لنا كان لقولة حقدها على الشيخ ابي، رحمه الله، فامر فينا بكل وجه من وجوه الانتقام»!

مات أبو العلاء زُهْر من «نُغْلَةٍ» عرضت له وتمادت حتى قتلته. يحدثنا ابنه عن «النغلات»، في «التيسير»، وعن موت ابيه، يقول:

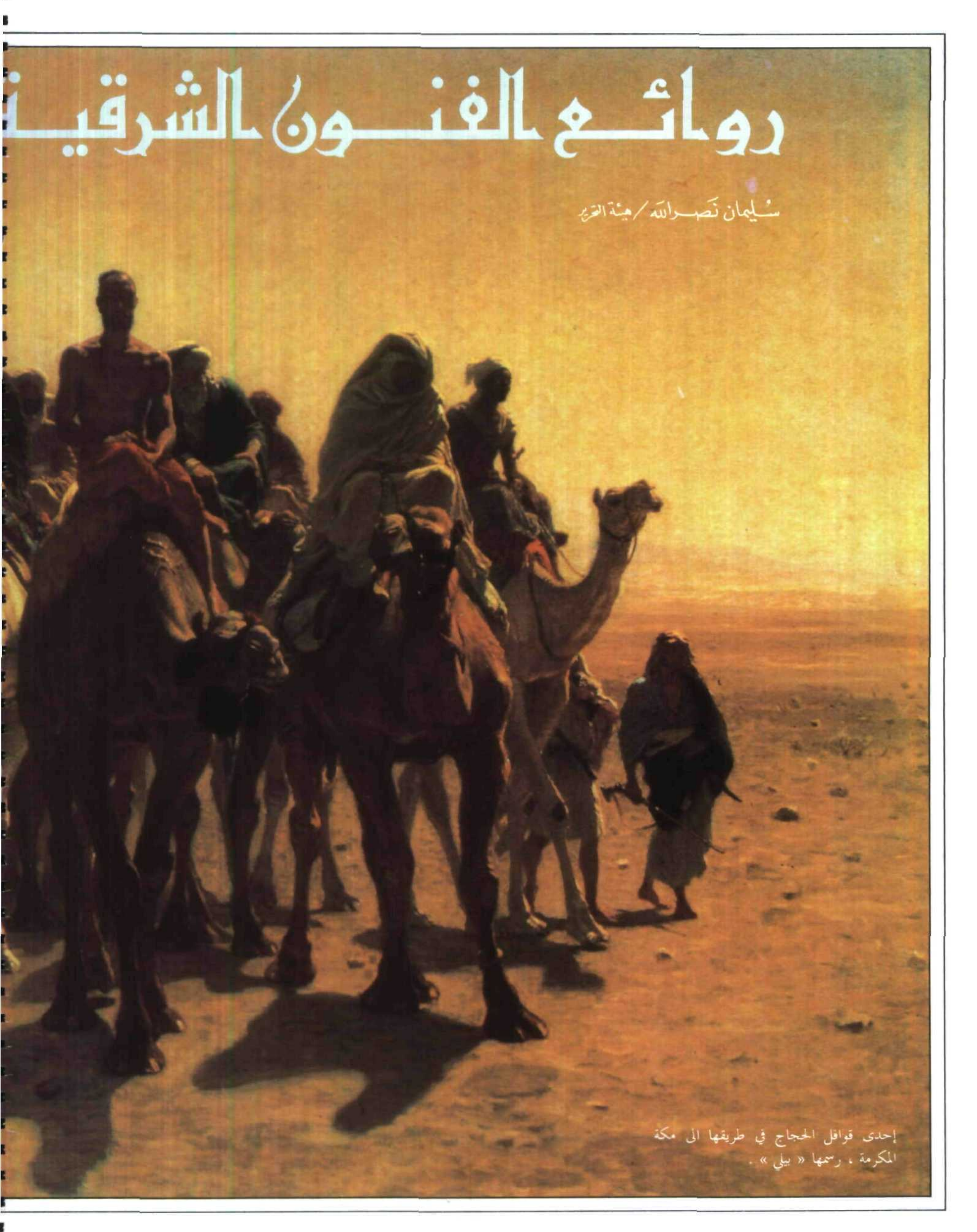
«هي اورام تكون تحت الكتف غائرة الى الداخل، تعرض في اليمين وفي الشمال (... تكاد) تكون لا برء لها. وانما تعرض لمن اسن، واكثر ما تكون اذا تعرض للانسان انكاد وكان يكثر الفكرة وتتوالى عليه الهموم، كالذي اصاب ابي، رحمه الله، عندما ناله من علي بن يوسف ما ناله، فانه احترقت اخلاطه فاصابته نغلة في الجانب الايسر وامتدت طولا نحو الشبر، ثم عاد الموضع لا يحس، وكان المتولي لعلاجه يقطع اجواف النغلة فلا يحس بذلك. ولم يزل الامر كذلك حتى وصل بالاتصال مضار ذلك الى قلبه، فعرضه سوء تنفس نحو يومين، ومات رحمه الله». وقد توفي في قرطبة. ثم حمل جثمانه الى اشبيلية، فدفن فيها سنة ٥٢٥هـ.

وللطبيب ابي العلاء زُهْر شعر فيه «نزعة طبية»! منه هذه الأبيات الطريفة:

يا راشقي بسهام ما لها غَرَضُ
إلا الفؤادُ، وما منهُ لها عوضُ
و(مُمْرضي) بعيون حشوُها (سَقَمٌ)
(صَحَّتْ)، ومن طبعها (التمريضُ) و(المرضُ)
أَمِنْ، ولو بخيالٍ منك يَطرقني
فقد يسدّ مسدَّ (الجوهر) (العرض) □

روائع الفنون الشرقية

سليمان نصرالله / هيئة التحرير



إحدى قوافل الحجاج في طريقها الى مكة المكرمة ، رسمها « بيلي » .

...في العيون الغربية

الشرق الأدنى بحضارته الزاهية وأصالته العريقة، كان ولايزال موضع اهتمام مئات المستشرقين من أبناء الغرب، على اختلاف مشاربهم وتباين ميولهم وأهدافهم. وقد تكونت لدى هؤلاء المستشرقين انطباعات متباينة عن بلدان الشرق الأدنى وشمالي أفريقيا، إثر زياراتهم لها وسماعهم عنها، فكان أن سجل الفنانون منهم هذه الانطباعات وانعكاساتها عليهم في لوحات فنية رائعة، تتحدث عن جوانب حضارية وثقافية متنوعة. وقد عرضت مؤخراً بعض هذه اللوحات، الغنية بالألوان النابضة بالحياة في المعرض الوطني للفنون في مدينة واشنطن، عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية.

على ما يتناقله الرواة والرحالون . وقد سبق الفنانون البريطانيون غيرهم في هذا المجال ، حيث قـام كل من « ديفيـد روبرتـس » و « وليام مولر » و « جي. لويس » بحملات الى الشرق الأدنى في الثلاثينات من القـرن التاسـع عشـر ، وتبعهـم الفنانـون الامريكيون امثال « فريدريك تشرتش » و « سانفورد جيفورد » في الستينات من القرن التاسع عشر . ومع سهولة الارتحال الى الشرق ، نزع الفنانون الى الواقعية في رسوماتهم ولوحاتهم . فكان الفنان الفرنسي « ديلاكروي » ، أول رحالـة الـى الشـرق حيث عـرض له ثماني لوحـات في المعرض الوطني للفنون في واشنطن ، نالت إعجاب الزوار . والمعروف ان هذا الفنان قد زار المغرب والجزائر وليبيا وتونس ومصر ، ومكث فيها قرابة ستة شهور ، اطلع خلالها على حضارة الشرق وتاريخه العريق ، فسجل ذلك في لوحات معبرة ، زاوج فيها بين الاسلوب والفكرة ، مستغلا ظلال الالوان على افضل وجه ، في ايضاح الفكرة الرئيسية ، حيث يلعب التباين الصارخ بين الألوان دورا أساسيا في ابراز موضوعات اللوحة الفنية ، حتى ليخالها المشاهد حية . انه الخيال الجامح لدى « ديلاكروي » ، المتحرر من القيود والشكل التقليدية ، الذي صور الشرق على انه بقعة خلابة ، غنية الالوان ، نابضة بالحياة . اما الفنان المستشرق « جيروم » فقد تغلب فيه صوت العقل على صوت العاطفة ، فكانت لوحاته الفنية أقرب الى الواقع منه الى الخيال . فيه لوحات وثائقية دقيقة ، تنقل الى المشاهد حقائق تاريخية بعيدة عن التهويل والتزييف ، وعدا عن ذلك فانها زاخرة بالتفاصيل ، تعكس ولع « جيروم » وعنايته الشديدة بابراز دقائق الأمور . وقد ضم المعرض ثلاث عشرة لوحة لهذا الفنان ، تعتبر سجلا دقيقا لأحداث معينة وقعت في الشرق العربي ، وتصور مشاهد من الحياة اليومية ، التي خبرها الفنان ، من خلال زياراتـه المتكررة لمصـر وتركيـا ، في الفترة مـا بين ١٨٥٦م و ١٨٧٥م . ولقـد اعتمـد « جيروم » في رسم لوحاته على حسه المرهف ، وملاحظاته الدقيقة ، لكل ما كان يقع عليه بصره ، فرسم المساجد ، والأسواق سلاطين آل عثمان ، مع التركيز على التقاليد والعادات ، وأزياء الرجال والأطفال والنساء وأنماط الحياة .

وهناك عـدد من الفنانين الغربيين ممن استحوذت عليهـم حكايـات « ألف ليلة وليلة » ، التي طبقت شهرتها الآفاق ، والتي ترجمت الى العديد من اللغات الحية ، فكانت مصدر إلهام لهم ، واتخذوا منها مادة غنية للوحات معبرة رائعة ، تصور روحانية الشرق ومفاتنه اجمل تصوير. ومن بين هؤلاء الفنانين الغربيين الذين أبدعوا لوحات فنية أخاذة ، مستوحاة من مسرح الليالي العربية ، الفنان « ادموند دولاك » الفرنسي الأصل ، الانكليزي المنشأ . فقد استهوته حكايات الليالي العربية منذ نعومة أظفاره ، وفتنتـه « شهرزاد » بأسلوبهـا الذي يقـوم على سرد تلـك الحكايـات على مسامـع « شهريار » . تلك الحكايات جعلت الفنان « دولاك » يحلق في أجواء الخيال ، ويحلم بذلك العالم العجيب ، مسرح احداث الليالي العربية : شعوب الشرق بأزيائها المتنوعة . لقد تراءت تلـك المشاهـد الأخـاذة للفنـان « دولاك » وهو في ميعة الصبا ، وقبل ان تكتحل عيناه برؤية الشرق ، فتفاعل مع تلك الرؤى ، واستجاب لنداءاتها الخفية ، ثم لم يلبث ان أبدع فيما بعد رسومات ولوحات غاية في الروعة والجمال ، ذات جو مثير كان لها صدى واسع بين الأوساط الفنية الغربية والشرقية . وزار « دولاك » الشرق في وقت لاحق ، فازداد به ولعا وإعجابا ، وراح يبدع الرسومات التزيينية للكتب ، مستمـدا موضوعاتها من الليالي العربية . ولم يكتف « دولاك » بذلك ، اذ عكف على دراسة الثقافة العربية الاسلامية ، بما في ذلك الأزياء وأساليب الحياة ، وفن العمارة الاسلامية ، والمناظر الطبيعية ، والمنسوجات ، والسجاد ، والزخارف الاسلامية ، وكل ما يمت الى الشرق بصلة ، ليضفي على لوحاته ورسوماته الأصالة والجاذبية .

أمّا الفنان الانكليزي « لويس » (١٨٠٥ـ ١٨٧٦م) ، الـذي قضى نحو عشر سنوات في القاهرة ، فقد انخرط في الحياة القاهرية آنذاك ، حيث أقام في منزل الشعبية ، والطقوس الدينية ، والحمامات التركية ، ورحلات الصيد ، وقصور السلاطين العثمانيين ، الى غير ذلك من موضوعات يتوق الغربيون الى معرفتها ، والالمام بها . وقد زار « جيروم » مدينة استانبول ، ثلاث مرات ، جمع خلالها معلومات وافرة ، كانت تشكل معينا لا ينضب للوحات فنية متألقة وأعمال إبداعية رفيعة ، خاصة وان مدينة القرن الذهبي الذي ترسو فيه المراكب من كل شكل ولون ، قد استهوته كثيرا ، فأبدع لوحات رائعة تصور جوانب الحياة الصاخبة في تلك المدينة في عهد على الطراز المملوكي في حي « الازبكية » ، وأعجب ايما اعجاب بفن العمارة الاسلامية ، وزخارفها ، ونقوشها ، ومشربياتها ، كما وجد في أشكال الخط العربي مادة غنية للوحاته ورسوماته . كما اعجب بالرياش والأثاث والملابس القطنية والحريرية السائدة في أواخر القرن التاسع عشر ، فكان أثرها واضحا في كثير من لوحاته التي عرضت في المعرض الوطني للفنون في العاصمة الامريكية .

وهناك عدد من الفنانين المستشرقين الذين استهوتهم الآثار العريقة ، وخاصة الآثار المصرية القديمة من معابد ومدافن وغيرها ، فأبدعوا لوحات تبرز تفاصيل تلك المعالم الاثرية ، كما فعل الفنـان الاسكتلندي « ديفيد روبرتس » حينما خص معبد « دندره » بلوحات رائعة ، تعكس تقديره لعظمة الانسان ، الذي شيد مثل هذا المعبد . وكان ديفيد روبرتس (١٧٩٦ ــ ١٨٦٤) أول فنان بريطاني يرتحل الى الشرق العربي ، حيث قضى نحو احد عشر شهرا فيه ، قام خلالها بتتبع نهر النيل من مصبه متجها جنوبا الى ان وصل الى القاهرة ، ثم توغل في صحراء سيناء ، ومنها دخل الى فلسطين ، وسوريا ، ولبنان . وقام أثناء رحلته هذه بوضع رسومات تخطيطية لكل ما شاهده من معالم أثرية في طريقه ، ثم حول تلك الرسومات الى لوحات زيتية ، تعتبر اليوم مرجعا قيما لعلماء الآثار والباحثين والمؤرخين ، بل سجلا أثريا دقيقا يبين واقع تلك المعالم الأثرية ، كما كانت عليه في منتصف القرن التاسع عشر □

ترجمة الشعر العربي التقليدي

بقلم : الراحل د. عيسى الناعوري / الأردن

في محاضرة لي عنوانها «المترجمون وقضايا الترجمة» ، كنت قد ألقيتها في الندوة الاعلامية المشتركة بين مجمع اللغة العربية الأردني ووزارة الاعلام ، ما بين ١ — ٢ نيسان عام ١٩٨٠ م ، وظهرت في كتاب بعنوان «محاضـرات النـدوة الاعلاميـة المشتركة» ، من منشورات مجمع اللغة العربية الاردني عام ١٩٨٠م ، قلت ما يلي :

« قد يكون من السهل نقل النثر الى نثر مثله في لغة اخرى ، مع الحفاظ على كثير من القرابة بين اسلوب الأصل وأسلوب الترجمة . غير ان ترجمة الشعر شيء مختلف جدا : فالشعر له في لغته أوزان وتفاعيل ، وقواعد خاصة ، مع الموسيقى والبناء ، وهذه كلها لا تتوافر في اللغات المختلفة على طراز واحد . ولذلك يصح في ترجمة الشعر ما يقوله المثل الايطالي من ان « المترجم خائن » ، وعلى الأخص حين يترجم الشعر شعرا ، فهو يبعد عن اصله بعدا شاسعا . وترجمة الشعر العربي الى اللغـات الأخـرى هي ضـرب مـن المعجزات ، ولا سيما اذا كان من الشعر الاتباعي ، الكلاسيكي ، **فالشعر العربي لا يقرأ إلا بلغته الأصلية لكي يظل شعرا** ، وعند الترجمة يفقد كل مزاياه الشعرية » .

ويبدو أن هذا الرأي كان غريبا لدى الصديق المستعرب الشاب « ميكيلي فالارو » ، من أساتذة اللغة العربية في الجامعة الكاثوليكية في ميلانو ، فقد كتب بحثا طويلا لمجلة استشراقية ايطالية ، يرد فيه على رأيي هذا ويناقشه ، ويقول انه « ربما كان من قبيل الاعتزاز المحمود بالتراث الشعري العربي » . وقد ترجم في نهاية البحث قصيدة طويلة لأحمد شوقي شعرا بالايطالية ، هي قصيدة « الربيع ووادي النيل » ، التي يستهلها شوقي بقوله :

آذارُ أقبلَ، قم بنا يا صاح
حَيِّ الربيعَ حديقـةَ الأرواح
واجمع ندامى الظرف تحت لوائه
وانشر بساحته بساطَ الراح

وقبل ان تصدر المجلة ، شاء الصديق « فالارو » أن يرسل اليّ تجربة من تجارب القصيدة في ترجمتها الايطالية ، مع البحث الذي كتبه ، لكي أطلع عليه وأقول له رأيي في ذلك

من المؤكد أن المستعرب الشاب قد كتب شعرا إيطاليا جميلا في ترجمته لقصيدة شوقي ، ولكن من المؤكد أيضا ان شوقي لم يكن فيها ، ولم يكن كذلك شعره . لقد نقل « فالارو » بعض معاني شعر شوقي الى اللغة الايطالية ، ولكنه لم يستطع ، وكيف يستطيع هو أو سواه ؟ ، أن ينقل الى القارىء الايطالي موسيقى شوقي ، وجرس شوقي ، وعبارة شوقي ؟ وكيف يستطيع ان يعطي القارىء الايطالي الاحساس الذي يحسه العربي ازاء مثل هذا الشعر الفخم الأنيق ، والمطرب الرنان ؟

إن عبارة شوقي وموسيقاه تتغلغلان في حسّ القارىء العربي وفي أذنيه ، فاذا تحولت هذه الموسيقى وتلك العبارة الى لغة اجنبية ، لم يبق منهما غير معاني الكلمات التي تخاطب العقل والعين وحدهما ، ولكنها لا تصل الى مكمن الحس بالجمال والفخامة والأناقة . ومعلوم ان الوزن الشعري الغربي والايقاع الغربي يضطران الناظم الى تغيير كثير من المعاني والألفاظ ، لكي يستقيم الشعر .

قد يحس القارىء الغربي بأناقة اللفظة والعبارة في الصياغة الأجنبية ، وهي غير أناقة اللفظة والعبارة في الصياغة العربية . وقد يستحيل الوصف الجميل ، والبيان الجميل في الشعر العربي ، الى شيء ثقيل في صورته الغربية . والثوب لا يعود هو الثوب الشرقي الذي صنع على قياس المعاني الشرقية وبطرازها الشرقي . والمعاني تلبس ثيابا مختلفة الألوان والطراز والذوق ، والموسيقى التي تطرب لها الأذن الشرقية ، وتستريح لها النفس العربية ، لا تعود هي الموسيقى ، والرنين الذي يتردد صداه في النفس العربية ، لا يعود رنينا ، ولا تعود تحس به الأذن العربية ، لأنه من جو غير جوها ، وبيئة غير بيئتها .

إن هذا بعكس الشعر الغربي حين يترجم الى اللغة العربية : فموسيقى الشعر في لغاته الغربية ليست موسيقى للطرب كموسيقى الشعر العربي . حتى المعاني الشعرية الغربية التي كثيرا ما تختلف عن المعاني الشعرية العربية ، لا تفقد شيئا كثيرا حين تنقل الى اللغة العربية . ولذلك لا أظن ان الغربي يحس بأن الشعر قد فقد شيئا حينما ينقل من لغته الغربية الى لغة شرقية . فالمهم في الشعر الغربي هو المعاني اكثر من الموسيقى ، وهذه المعاني تظل هي هي مهما كان الثوب الذي تلبسه .

أذكر انني اطلعتُ شاعرة ايطالية مرة على قصيدة عربية منشورة في احدى المجلات ، فأعجبت بشكلها الهندسي اولا ، فلما قرأتُ منها شيئا ، محاولا إبراز موسيقاها الجميلة ، رأيتها تزداد إعجابا بها . وقد قالت لي ان الشعر الغربي ليس فيه مثل هذه الموسيقى الجميلة .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، حين يترجم الشعر التقليدي العربي

ان الصيغة التي ابرزها «لالاند» في القرن العشرين اصبحت مقبولة الى حد ما حيث يقول: «العنف هو الاستخدام غير المشروع او غير القانوني للقوة ..» ومع ذلك فاننا نتحفظ بعض الشيء، في اطلاق هذا التعريف. ولا شك ان تطور روح الديمقراطية قد ولد المفهوم الحديث للعنف، واختفت النفحة المهينة، اذ يمتنع كل فرد بوصفه مواطنا بالاعتراف له بالحرية والسعادة. فالعنف يلبس لبوس القوة ولم يعد قاصرا على العمليات المادية ككوارث الطبيعة، ولكنه اصبح ظاهرة ذات ارتباط بالحرية..

ان دراسة المصادر التي نشأ منها مفهوم العنف تلقي ضوءا على التعريف القائل «ان العنف تاريخيا هو ظاهرة بشرية» وآية ذلك ان اسباغ صفة العنف على الطبيعة من نحو «اهتزاز ارضي، عواصف، امواج، براكين» ليس الا تجاوزا، اذ انه ليس ثمة عنف في اعماق البراكين، ولكنها توصف بالعنف باعتبار انها صيغ للتعبير فحسب.

اذا لم تكن الطبيعة عنيفة، فهل يمكن ان نقول ان الحيوان عنيف؟ لقد عالجت الدراسات الحديثة موضوع عدوانية الحيوان، وتشير نتائج هذه الدراسات الى ان النوع الحيواني الذي وضع تحت الملاحظة كان يتجنب العنف. ليس سبب هذا دائما انه لا يرغب في المخاطرة احيانا ولا يقف عند مجرد اشباع حاجته بل لأنه كذلك يسعى الى تعايش سلمي مؤقت.

فاذا نظرنا الى العنف في العلاقات بين الاجناس الحيوانية المختلفة، وجدنا الأسد مثلا يبدو في اعيننا عنيفا حينما نراه يلتهم فريسته، لكن هذا العنف انما هو عنصر اساسي من مجموعة عناصر لا بد منها لايجاد التوازن الكيميائي، ولذلك فاننا في مثل هذا الموقف نلغي لفظة «العنف».

هل العنف ظاهرة بشرية؟

الحق يقال ان الجنس البشري هو وحده القادر على تدمير نفسه، لا لشيء الا لأنه فقد قدرته على تحقيق التنظيم الذاتي.

ويقول «ارنولدتوينبي» حول هذه الظاهرة: «تعزى ظاهرة العنف في الازمنة الحديثة الى انعدام الذاتية الفردية وانسحاق الفرد في آلية الحياة الميكانيكية، وفي آلية الحياة الاجتماعية» ويؤكد قوله هذا بآخر هو: «وأن تنظيما اجتماعيا ذا طبيعة لا شخصية يناقض جوهر الطبيعة الانسانية ..».

ولو طبقنا مصطلح «العنف» على استخدام القوة ـــ لاغتصاب شيء ما «الكائن البشري يصر على ان يعامل كشخص .. كانسان حتى لو كان الطريق الوحيد للظفر باهتمام شخصي هو الاصطدام بالشرطي ..» وفعل ارتكاب السرقة ليست دائما عنفا وقد يظهر العنف بصورة اغتصاب!

ان العنف بشع لكنه يستهوي الكثيرين الى اقامة مثل هذه العلاقات دون ان يلجأ الى النقاش والمفاوضة. ليست جريمة القتل هي اعلى درجات العنف، ذلك ان القتل يستأصل الهدف نفسه الذي قصد اليه العنف اما اعلى درجات العنف حقا فهي التعذيب.

ترى ما سبب العنف؟

بعضهم يلح على أن الالتجاء الى العنف تفرضه اسباب اقتصادية بحتة، وهذه الذريعة الاقتصادية المزعومة تؤدي في نهاية المطاف الى ان تصبح باهظة التكاليف، وان ما تحققه من منافع قصيرة العمر سريعة العطب. ولذلك فمن الممكن بالاقناع والتحليل النقدي للنتائج والاستدلال، ان يصد بعض الأفراد والجماعات عن الالتجـــاء الى العنف، سواء في حالة الجانح او حالة الجماعة عندما يتخذ قرار العنف. ولقد تبين لنا من التراجيديا اليونانية وعظماء الروائيين والفلاسفة المعاصرين امثال هيجل ونيتشه وسارتر ان العنف لا يقتصر على ممتلكات الشخص او على امنه الجسدي وانما يمتد الى كيانه ووجوده نفسه.

ولنتوغل قليلا في حياة الانسان، وصولا الى الشهور الاولى في حياة الطفل، لنجد رغبة الاستقلال لديه تتجه الى العالم الخارجي فتضع يدها عليه. وفي هذه المرحلة تنشأ لدى الطفل ظاهرة العنف، لانه عنصر من العناصر التي تسهم في نمو «الشعور بالذات» وتأكيد الاستقلال الذاتي. وهكذا نجد هناك ازدواجية في الطباع الانسانية..

ان الحيوانات تبحث عن صيدها، اما صيد الانسان فهو الحرية والعنف. الحب والسادية، الديمقراطية والاستبداد، التعليل المنطقي والسفسطة. هناك دائما فريقان للتصرف متنافسان، احدهما لطيف والآخر عنيف، وكل منهما يقف من الآخر موقف التناقض والمخالفة. في كلتا الحالتين تجاهد الأطراف المتنازعة في سبيل الاستحواذ على اعمق أعماق الكيان الداخلي للآخر. وبذلك نجد امام الانسان طريقين اما الحصول على ارادته او اضطراره الى الخضوع والاستسلام.

أحيانا ندين العنف كأنما هو ظاهرة دخيلة على الانسان، في حين انه في الواقع مصاحب للانسان، بل انه قد يكون موجودا، كما ادرك نيتشه من قبل.

كان «هيجل» أول فيلسوف كشف لنا أن العنف جزء لا يتجزأ من أصل الشعور الانساني. فالشعور يبزغ من الحياة من أجل تأكيد الذات في عدم الاعتراف بوجود الغير ومن هنا تنشأ يقينة ذاتية، هي «ولا بد ان يعترف بي بأني موجود» وهكذا يصبح الصراع من أجل الحياة صراعا في سبيل الاعتراف بالحياة. وانا في انشغالي بالصراع، احرر نفسي من الحياة الحيوانية للانسان، ولذا فانه ليس هناك الا طريق واحد لكي يبقي المرء على حريته، وهذا الطريق هو المخاطرة بالحياة، وهذه المخاطرة تتضمن عنفا، سواء أكان عنفا يواجهه المرء ام عنفا يمارسه.

ان هيجل لا يرفض العنف، بل نراه يضمنه في عملية النمو الانساني واشبه بذلك اعتقاده ان الحرب ما هي الا صيغة طبيعية للعلاقات بين الدول ومن الحق ان نقرر ان هيجل لا يضع العنف موضع التمجيد، وانه يرى ان في العمل والثقافة مجالا اكثر اشباعا للتعبير عن الذات لجعل العلاقات انسانية بين الأفراد او بين الدول.

ولو نظرنا للمفهوم المعاصر للعنف في ضوء التصنيفات الماركسية، لوجدنا فيه ازدواجية ايجابية كانت ام سلبية، حسنة ام سيئة، طبقا للغايات التي تستهدفها، بل طبقا للقوى التاريخية التي تقف وراءها. اننا نعرف الجواب الذي يقدمه ماركس وانجلز. فعندهما الصراع الطبقي هو القوة الدافعة للتاريخ، ولذلك فاننا لا نستطيع ان نتجنب العنف الا اذا اتخذنا ملاذا لنا في اوهام الاشتراكية المثالية.

لكن للعنف طبيعة لا يمكن عزلها عن الظروف البشرية. فالعنف عديد الجوانب المحسوسة والاشكال والصور. وهو في الاضرابات له طبيعة تختلف عن طبيعة العنف في استخدام القنبلة الذرية. فالعنف «المقنن» الذي يختفي وراء ستار من الشرعية، والذي يطبق سلميا يختلف اختلافا بينا عن انواع العنف الأخرى. ان العنف الذي يمارس علانية وجهرا يسترعي الانتباه اكثر مما تسترعيه صيغ العنف المستكنة المخاتلة، ومن ثم فان الاول يكون موضع استنكار اعنف واشد.

واذا استقصينا طبيعة العنف فانه لا يكون بمعزل عن دراسة الوسائل والظروف والغايات اما ادانة كل صور العنف فعبث ورياء، واما تمجيد العنف فاجرام!

كيف نحكم على العنف اخلاقيا؟

من الضروري ان نحكم على العلاقات التالية:

اولا: العلاقة بين النظرية المعلنة والوسيلة المصطنعة.

ثانيا: العلاقة بين الوسيلة والغاية.

ثالثا: العلاقة بين الفرد وما يصدر عنه من عنف.

وأسوأ الامثلة هو العنف «الأعمى» بالنسبة لضحاياه، ولمن اقترفوه. والعنف يتضمن في ثناياه قوة ذاتية لتوليده «فالعنف يلد العنف» وصوره المفزعة، قد تحتمي احيانا بمؤسسات او ايديولوجيات تتمتع ظاهريا بالاحترام.

والسؤال القائم هنا هو هل العنف اليوم في ازدياد ام في نقصان؟

إنّه تساؤل لن يؤدي منا الى نتيجة لأسباب كثيرة، منها ان العنف كان يمارس في الماضي في فحش وبشاعة. وبأساليب تكاد تمحى في المجتمعات الصناعية، فالمبارزة وأحكام الاعدام والعراك الذي ينشب في الشوارع، كل ذلك اصبح من النادر وقوعه، ومع هذا فان صور العنف التي يمارسها الاحداث الجانحون لم يتوقف معدل زيادتها بعد، وهنا نرى ان ثمة شيئا من التناقض ينبغي ان نقف عنده قليلا، فكلما تطور الضمير «الحضاري» واصبح لا يستطيع التساهل فيما يشهد عيانا من محظورات، لجأ العنف الى التفكير والاستخفاء والبحث عن مخرج. ويمد المخرج باتجاهين:

١ ــ تحول العنف الى داخل النفس البشرية: قد يظهر بشكل احاديث فلسفية ونقدية. وربما نجد هذا التعبير في مواقف الحياة اليومية كالمشاجرات والشغب.

٢ ــ تحول العنف الى الخارج: يظهر اشكال جماعية خفية اصطنعت من اجله بوساطة التكنولوجيا والنظم السياسية. فللتكنولوجيا عنف قد عبر عنه «ارنست جنجر» و «مارتين هايدجر» وهو تعبير مزدوج عن العقلانية الشاملة، وعن الرغبة في التسلط مع انها تمكن الناس من الاتصال ببعضهم، لتخلق عالما مشتركا لجميع الامم الا انه في الوقت نفسه هي التي تمزق الارض اربا، وتسعى لكي تخضع الطبيعة والناس لارادتها.

ان اخضاع الطبيعة هي العملية التي يعتبرها العقل الغربي مغامرته العظمى فهي لا تعرض للخطر الطبيعة وحدها بل كذلك العقل البشري الذي يحاول ان يخضع الطبيعة، ومن هنا ينبغي ان نتنبه للتحذير الذي اعلنته مدرسة الفلاسفة بفرانكفورت: «اليوم.. وقد قضى المنطق الرياضي والتكنولوجي على الاساطير، فانه يسحق الذات تحت امبرياليته».

ومن وراء الاشكال الجماعية للعنف التي عانى منها الانسان في عصرنا هذا نجد ضربا من الهيستيريا التكنوقراطية؟ الراغبة في اخضاع الناس ــ وكذلك الاشياء ــ لارادة واحدة، ارادة دولة شمولية متسلطة.

إن التكنولوجيا لا تقتصر نفسها على امتداد النظام السياسي بأجهزة فريدة ليستخدمها في الاشراف والتحكم، وإنما تقدم نموذج اغراء واثارة لضمان السيطرة الكاملة على الناس وحينما يصل الرد الى آخر المطاف في مرحلة السيطرة على المادة فمن العسير ان يعترف بأن الروح قد تبدي مقاومة.

وضع العنف تحت سلطة منفردة: ان نظام الشرطة والامن الداخلي ليس، سوى تنظيم لمجتمع ما ضد العنف الخارجي او الداخلي. وهل الدولة الا وسيلة لأخذ العنف من ايدي الافراد والجماعات ووضعه تحت سلطة منفردة.؟ ذلك كما وضح «ماكس فيبر» حينما عرف الدولة بانه «قابضة على الزمام فيما يتصل باحتكار الاستخدام المشروع للعنف».

ترى ما الوسيلة للحد من العنف؟

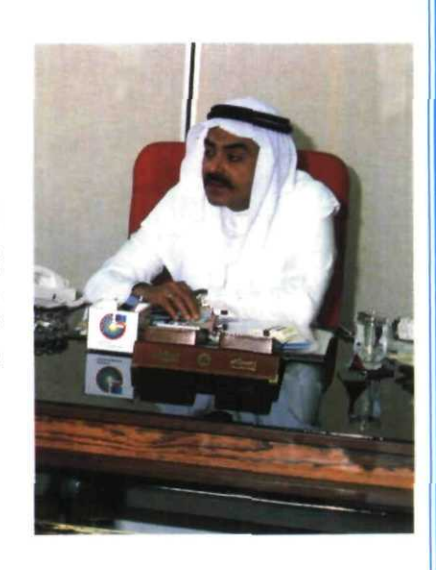
ليس هناك مجال لتبرير العنف. فالتاريخ ملطخ بسيل من الدماء والمعاناة، ومع هذا فان العنف قد يكون عنصرا بناء، يسير جنبا الى جنب مع التغيرات الاجتماعية والثقافية وقد اثبتت الايام انها كانت ذات نفع وذات جدوى.

إذا كان العنف مقدورا له ان يصبح تهديدا، فهل هناك أية وسيلة لايقافه او للحد منه؟ هناك من يحلم باستئصاله بمهاجمته. فمثلا يعتقد كثير من المفكرين مثل سارتر ان الصراع ينشأ عن العوز والفاقة وبهذا المنطق نقول ان العوز ينشأ عن الاستغلال والاحتكار والتوزيع غير العادل لموارد الثروة! ولكن أين يقع اصل الاستغلال ان لم يكن في عنف فرد أو جماعة؟ هنا نعود الى لغز «العنف الفطري» والحق ان نقطة الشك في الانسانيات كلها.

ان الفلسفة والعلم قد حققا الالتقاء عند نقطة، بحيث يمكن ان يتخذا فيها اسلوبا جديدا كل الجدة لتناول مشكلة العنف والحل الذي نحتاج اليه. ربما لا نستطيع بعد الآن ان نعتمد على العنف كوسيلة للحد من العنف. ان البشرية بكاملها ينبغي ان تكون على ثقة من انها اذا ارادت ان تحافظ على استمرار بقائها فان عليها ان تعطي اولوية للاهداف العامة قبل المصالح الخاصة، والايمان بمبدأ الحوار، وبأن النظام الاخلاقي القائم على الحب والتفاهم ــ ببساطة ــ سوف يؤديان الى تغيير المؤسسات والعادات. وهذا ما نجده في الشرائع السماوية وبخاصة «الدين الاسلامي» □

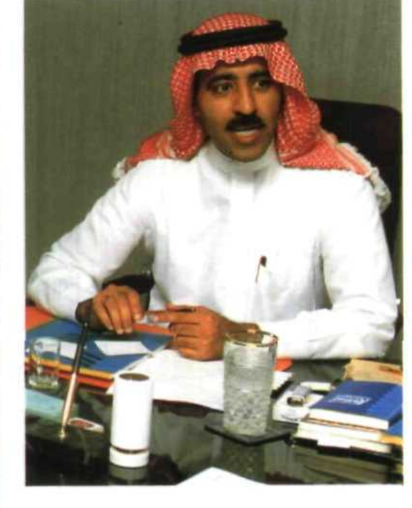
صناعة المكيفات في

عبدالله الخالد / هيئة التحرير



زايد صعب :
دعم الدولة للصناعة الوطنية
دعم لامحدود ، وكل ما نأمله
هو توفير الحماية .





فهد العيسى :
ما ننشده هو ثقة المستهلك
بالصناعة الوطنية .



عبدالمحسن الغامدي :
إنتهى عصر التجميع ،
واتجهنا الآن إلى التصنيع .

المملكة العربية السعودية



لقد سعت حكومة المملكة العربية السعودية ومنذ زمن ليس بالقريب الى دعم الصناعة الوطنية وهيأت لذلك كافة الأسباب والوسائل ايمانا منها بأهمية تنويع مصادر الدخل، فلقد قامت الحكومة بانشاء صندوق التنمية الصناعية السعودي عام ١٣٩٤هـ، وأناطت به مهمة دعم التنمية الصناعية في القطاع الخاص عن طريق تقديم القروض مقرونة بالخدمات الاستشارية للمشاريع الصناعية القائمة والمزمع إقامتها.

وقد شجعت هذه الخطوة المستثمرين ورجال الأعمال على الاتجاه الى القطاع الصناعي، فقام العديد منهم باقامة مشاريع صناعية إما مستقلة او مع شركاء اجانب، بحيث اصبح عدد كبير من تلك المشاريع يضاهي مثيلاته في العديد من الدول المتقدمة. وفي نفس الوقت الذي سعت فيه الدولة الى دعم صناعة المواد الاستهلاكية والغذائية، كانت تسعى ايضا الى دعم وتشجيع قيام الصناعة الانتاجية سواء عن طريق القروض المغرية التي يقدمها صندوق التنمية الصناعية السعودي لهذه الصناعات او سعي الدولة بكافة قطاعاتها الى شراء السلع الانتاجية التي تقوم بتصنيعها المصانع المحلية، هذا الى جانب الحماية التي وفرتها الدولة لتلك السلع امام منافسة مثيلاتها الاجنبية.

ولعل صناعة التبريد بشكل عام وصناعة المكيفات بشكل خاص واحدة من تلك الصناعات التي حظيت بنصيب الأسد من ذلك الدعم. وهذه الصناعة، أي صناعة مكيفات الهواء في المملكة، هي التي ستكون مدار حديثنا في هذا الاستطلاع.

كما هو معروف، المملكة العربية السعودية تتمتع بمناخ شبه قاري يميل الى البرودة شتاء والى الحرارة صيفا وهو في فصل الصيف في المنطقة الغربية والشرقية حار رطب وفي المنطقة الوسطى حار جاف. وهذا بحد ذاته قد زاد من أهمية استعمال مكيفات الهواء وذلك للتغلب على الظروف الجوية والمناخية الصعبة.

غرفة الطلاء والتجفيف في مصنع الزامل التي تعمل ذاتيا. وهي واحدة من أحدث غرف الطلاء في مصانع المكيفات العالمية.

ومع أن آباءنا وأجدادنا كانوا يجابهون هذه الظروف المناخية بوسائل تقليدية، إلا أننا ــ وبفضل التقدم العلمي والتقني ــ لجأنا الى أساليب أكثر رفاهية، تمشيا مع متطلبات العصر. وقد سعى بعض المخلصين من أبناء هذه البلاد الى ادخال صناعة التكييف الى المملكة ايمانا منهم بأهمية هذه الصناعة، وسعيا منهم لتطوير صناعاتنا الوطنية وعدم الاعتماد على الاستيراد الخارجي، عملا بالقول السائد «ويل لأمة تأكل مما لا تزرع وتلبس مما لا تصنع».

وعلى هذا الأساس أقيمت ثلاثة مصانع عملاقة للمكيفات: الأول في المنطقة الشرقية وهو «الزامل فريدريك» والثاني في الرياض وهو «جيبسون العيسى» والثالث في جدة وهو «يورك الجفالي». هذا بالاضافة الى عشرات الشركات الصغيرة التي تعمل في صناعة التكييف والصناعات الملحقة به والمنتشرة في معظم مناطق المملكة.

مصنع الزامل للمكيفات

ولعل من أقدم مصانع المكيفات في المملكة مصنع الزامل للمكيفات والذي بديء بانشائه في اوائل عام ١٣٩٥هـ في المنطقة الشرقية من المملكة تحت اسم «المصنع العربي للتبريد» والذي سار العمل فيه على أربع مراحل، تمثلت الأولى في بداية انتاجه في ٢٦ رجب ١٣٩٥هـ، وتمثلت مرحلته الثانية في التخطيط لانتاج المكيفات المركزية والتي بدأت في ٢٦ رمضان من العام نفسه، حيث بدىء بانتاج المكيفات المركزية بعد ثمانية اشهر من ذلك التاريخ، وكان العمل قبل هذا التاريخ مقتصرا على انتاج مكيفات الشباك.

تلت ذلك المرحلة الثالثة والتي بدأت في ٢٥ ربيع الأول ١٣٩٧هـ حيث توالى العمل وتضافرت الجهود فازداد الانتاج حتى وصل الى ٦٠٠٠٠ وحدة مكيف «شباك» و٣٥٠٠ وحدة تكييف مركزي سنويا. ثم تم تغيير اسم المصنع ليصبح اسمه «مصنع الزامل للمكيفات» في ٢٥ جمادى الثانية ١٣٩٨هـ ثم اعقب ذلك بدء المرحلة الرابعة للانتاج حيث ارتفعت طاقة المصنع الانتاجية الى ١٠٠٠٠٠ مكيف شباك والى ٥٠٠٠ وحدة تكييف مركزي بأحجام مختلفة سنويا. وتمشيا مع خطة التطوير والتحسين وزيادة الانتاج قام المصنع في ٥ محرم ١٤٠٢هـ بانشاء أضخم مختبر للمكيفات في الشرق الأوسط لقياس القدرة والصوت. ثم تتابعت مراحل النمو والتطور حتى اصبح المصنع ينتج الآن المكيفات بجميع احجامها وبطاقة انتاجية بلغت ٢٠٠٠٠٠ مكيف شباك سنويا هذا بالاضافة الى المكيفات المركزية التي تستخدم لتكييف مساحات كبيرة بواسطة شبكات قنوات الهواء (الدكت) والمكيفات المجزأة (السبليت) والمكيفات المعبأة (بقدرات تتراوح من ٣ الى ٨٠ طنا) بطاقة إنتاجية تتراوح بين ٢٠٠٠٠ و٣٠٠٠٠ وحدة سنويا. أما بالنسبة لانتاج المصنع السنوي من المبردات (التشيلرز)



مختبر قدرة المكيفات المركزية «أجهزة لقياس الهوائية والالكترونية» لتجارب معالجة الهواء في مصنع الزامل.

ووحدات التبريد المروحي ، ووحدات معالجة الهواء فتتراوح الطاقة الانتاجية بين ٥٠٠٠ و ١٠٠٠٠ وحدة سنويا .

ويقوم المصنع بانتاج الصفائح المعدنية اللازمة للمكيفات بما في ذلك الخزائن والهياكل المعدنية التي تستخدم في جميع انواع وحدات التكييف السالفة الذكر . كما يقوم المصنع بعمل شبكات الأنابيب وملفات التبادل الحراري ، وغير ذلك من الأجزاء التكميلية الأخرى . ويبلغ عدد العاملين في مصنع الزامل للمكيفات ١٤٠٠ موظف من ذوي الكفاءة العالية ما بين مدير ومهندس، وفني مكيفات، وفني مراقبة الجودة النوعية، وميكانيكي، وفني صفائح معدنية، وفني تمديد مكيفات مركزية، وكهربائي بالاضافة الى أعمال الادارة والمحاسبة والمبيعات، وغير ذلك من المهن المساندة كالسائقين والنجارين وميكانيكيي السيارات .

ويقوم مصنع الزامل للمكيفات على مساحة تزيد على ٨٠٠٠٠ متر مربع تحتل المباني نحو ٣٣٠٠٠ متر مربع منها، وقد تم حتى الآن افتتاح احد عشر فرعا للمبيعات والخدمة موزعة على معظم أرجاء المملكة.

أما من حيث نشاط مصنع الزامل للمكيفات بخصوص تصدير انتاجه الى خارج المملكة، فقد بدأت الفكرة عام ١٩٨١م عندما اجتذب انتاج المصنع السوق العربي وأخذ العملاء في الخارج بالاتصال طالبين من المسؤولين في المصنع تسويق انتاجهم في تلك الاسواق، مما كان له الأثر الطيب لدى المسؤولين في المصنع، وعلى ضوء ذلك تم في عام ١٩٨٢م استحداث ادارة التصدير تحت اشراف اخصائيي التسويق في المصنع. وقد باشرت تلك الادارة العمل باعداد وتحضير الخطط اللازمة لتحقيق ذلك الغرض واعدت دراسة حول احتياجات السوق الخليجي بشكل خاص والسوق العربي بشكل عام وقامت بتحديد مناطق التسويق من خلال زيارة مسؤوليها لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية والى بعض الدول العربية الأخرى كالسودان واليمن والأردن .

وحول سؤال لنا عن التعاون بين المصنع وبين بعض الشركات الوطنية في مجال شراء بعض لوازم التصنيع. أجابنا الاستاذ عبدالمحسن الغامدي المدير الاداري للمصنع بقوله:

«نحن مصنع الزامل للمكيفات بالدمام بصفتنا اكبر مصنع لانتاج المكيفات في المملكة، ورغبة منا في دفع عجلة الصناعة الوطنية الى الامام، اتخذنا خطوات إيجابية كبيرة لتشجيع الصناعات الوطنية في المملكة عن طريق استعمال المواد المتوفرة لدى المصنعين المحليين .

وقد كنا ولا نزال نفضل دائما شراء واستخدام المواد المصنعة محليا من قبل الشركات المنتشرة في كافة انحاء المملكة، مع الاحتفاظ بجودة نوعية منتجاتنا، وذلك فيما يتعلق بمواد التغليف ومنتجات البوليسترين ومنتجات البلاستيك والمواد الكيميائية والغازات » .

وفي سؤال آخر عن خدمات الصيانة التي يقدمها المصنع لزبائنه بعد البيع، يقول الاستاذ عبدالمحسن: «ان المصنع يقوم بتأمين خدمات الصيانة لجميع الأنواع المنتجة بواسطة فنيين مهرة مدربين لهذا الغرض، ويتم ذلك عن طريق شبكات الفروع والوكلاء المنتشرين في مختلف مناطق المملكة، هذا بالاضافة الى وحدات الصيانة المتنقلة والمجهزة فنيا، وذلك

٢



١



١ ــ إحدى المكائن الحديثة لتصنيع القضبان النحاسية في المصنع .

٢ ــ جانب من مراحل الانتاج في مصنع الزامل.

بقصد تأمين خدمات صيانة ممتازة لما بعد البيع وتنفيذا لالتزامات المصنع تجاه زبائنه من حيث الضمان المعطى لهم. كما يوجد في كل فرع تابع للمصنع مهندسون مختصون في عمل تصاميم التكييف المركزي للمشاريع السكنية والتجارية وتقديم تلك الدراسات مجانا.

١ ــ جانب من مصنع العيسى للمكيفات.

٢ ــ جانب من المختبر الكهربائي في مصنع الزامل.

٣ ــ خط تجميع المكيفات المركزية في مصنع الزامل.

٤ ــ خط تجميع مكيفات الغرف في مصنع الزامل.

مصنع العيسى للمكيفات

يحدثنا الاستاذ فهد صالح العيسى، المدير المسؤول عن بداية مصنع العيسى للمكيفات قائلا: «إن الفكرة بدأت عام ١٩٧٥م بالدخول الى السوق كموزعين لمكيفات «جيبسون» ثم ما لبث الشيخ عبدالعزيز العيسى أن فكر باقامة مصنع لتلك المكيفات في المملكة عام ١٩٧٧م، وبدأت مرحلة التصنيع في يونيو من عام ١٩٧٩م حيث بدأنا بانتاج مكيفات «جيبسون» للشباك النوع القديم. وقد سعى المصنع ومنذ بداية انتاجه الى تنويع الانتاج حيث اصبح ينتج الآن عشرة انواع من مكيفات الشباك. المختلفة الطاقة والقدرة والحجم، وكذلك المكيفات المجزأة «السبلت» هذا بالاضافة الى المكيفات الجدارية وهي نوع جديد يتم انتاجه في المملكة لأول مرة».

وعن المساحة الجغرافية التي يغطيها انتاج المصنع يقول الاستاذ فهد العيسى: «اننا نحمد الله على الثقة الكبيرة التي يوليها لنا زبائننا، حيث اصبح انتاجنا الآن يصل الى كافة مناطق المملكة، ولعل في ما نسعى الى

١



٢



٣



٤



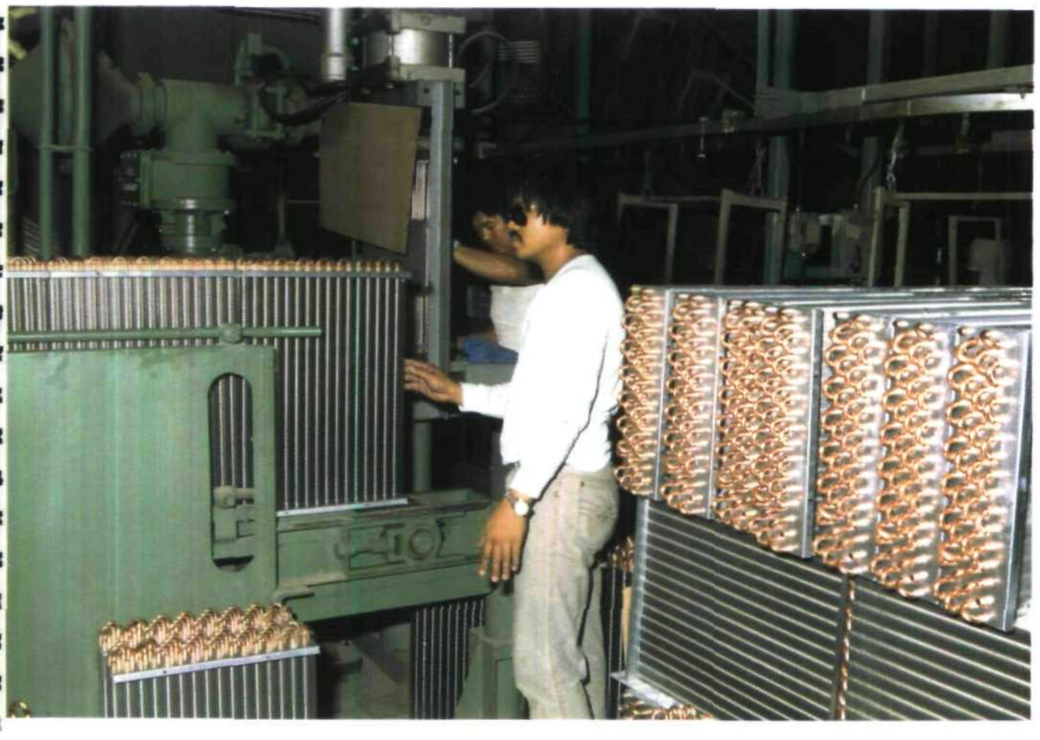
تقديمه من خدمات لصيانة المكيفات التي نصنعها حافزا كبيرا للزبائن، فنحن مثلا، إما أن نقوم بانشاء ورشة لصيانة مكيفات جيبسون أو اننا نتفق مع احدى الورش الفنية للقيام بتقديم خدمات الصيانة للزبائن وذلك بعد توفير قطع الغيار كاملة لتلك الورش» .

وحول سؤال فيما اذا كان مصنع العيسى للمكيفات يقوم بالتصنيع الفعلي للمكيفات ام انه يقوم بعملية تجميع تلك المكيفات، يبتسم الاستاذ فهد العيسى ويعقب قائلا : «ما من شك في أن الفكرة السائدة لدى الكثير من الإخوة المواطنين والإخوة المقيمين هي ان صناعتنا المحلية هي صناعات تجميعية. ولعله من المناسب هنا ان اقول اننا نقوم بعملية التصنيع من ألفها الى يائها وكي يلمس بنفسه حقيقة التصنيع الكامل الذي نقوم به ادعو كل من تسمح له ظروفه من المواطنين وغيرهم بزيارة مصنعنا . ويكفي ان نشير الى ان مصانع المكيفات في المملكة تفوق مثيلاتها في الدول الاوروبية من حيث تكامل مراحل انتاجها، فنحن هنا في المملكة نقوم بتصنيع ٨٠٪ من أجزاء وحدة التكييف .

وعن عدد الايدي العاملة في «صناعات العيسى» وهو الاسم الرسمي لهذه المؤسسة يشير المدير المسؤول الى ان هناك ١٥٠ شخصا بين موظف وعامل باستثناء موظفي المبيعات والصيانة .

وعن التقنية المستخدمة في مصنع العيسى، يفيدنا المدير المسؤول بأن التقنية في صناعة المكيفات أمر مطلوب لمواكبة التطور السريع في هذه الصناعة والوقوف على احدث ما توصلت اليه المصانع العالمية كي يكون المصنع المحلي مؤهلا للمنافسة . ورغم ذلك فانه يؤكد ان التطور في صناعة المكيفات بطيء اذا ما قيس بالمنتجات المصنعة الاخرى، ذلك انه يقارن بين المكيفات التي صنعت قبل ربع قرن والمكيفات التي تصنع حاليا، فيذكر انه لم يطرأ تغيير كبير على التقنية المستخدمة فيها . ويضيف : «بأن ذلك لا يمنعنا من السعي لادخال ما يستجد في العالم من تقنية في هذا المجال، اذ بدأنا مؤخرا

١



١ ــ أحد أجهزة تصنيع معدات التبخير في مصنع العيسى .

٢ ــ مرحلة التغليف وهي المرحلة النهائية للانتاج في مصنع العيسى .

٣ ــ مرحلة تكييف الصفائح المعدنية في مصنع العيسى .

٤ ــ غرفة اختبار الأداء في مصنع العيسى للمكيفات .

٢



باستخدام غرف قياس التردد والعوامل الجوية، ومختبرات قياس قوة الجهد والتآكل وغيرها بقصد الوصول بصناعة المكيفات في المملكة الى مستوى مثيلاتها في العالم المتقدم. هذا بالاضافة الى الاسناد التقني الذي نلقاه من قبل شركات عالمية مثل « جيبسون » و « كرير » و « هيتاشي» وفق اتفاقيات وتراخيص تمت بيننا وبين هذه الشركات .

وكي أعطي القاريء مثالا لذلك اذكر اننا قمنا بتطوير مكيف جبسون ذو الفتحة الجانبية الذي يتصف بالهدوء التام بحيث يضاهي مثيلاته اليابانيات وقد يتفوق عليها. وهذا ما لم تفكر فيه شركة جيبسون الامريكية نفسها ولم تقم بتصنيعه في ذلك الوقت».

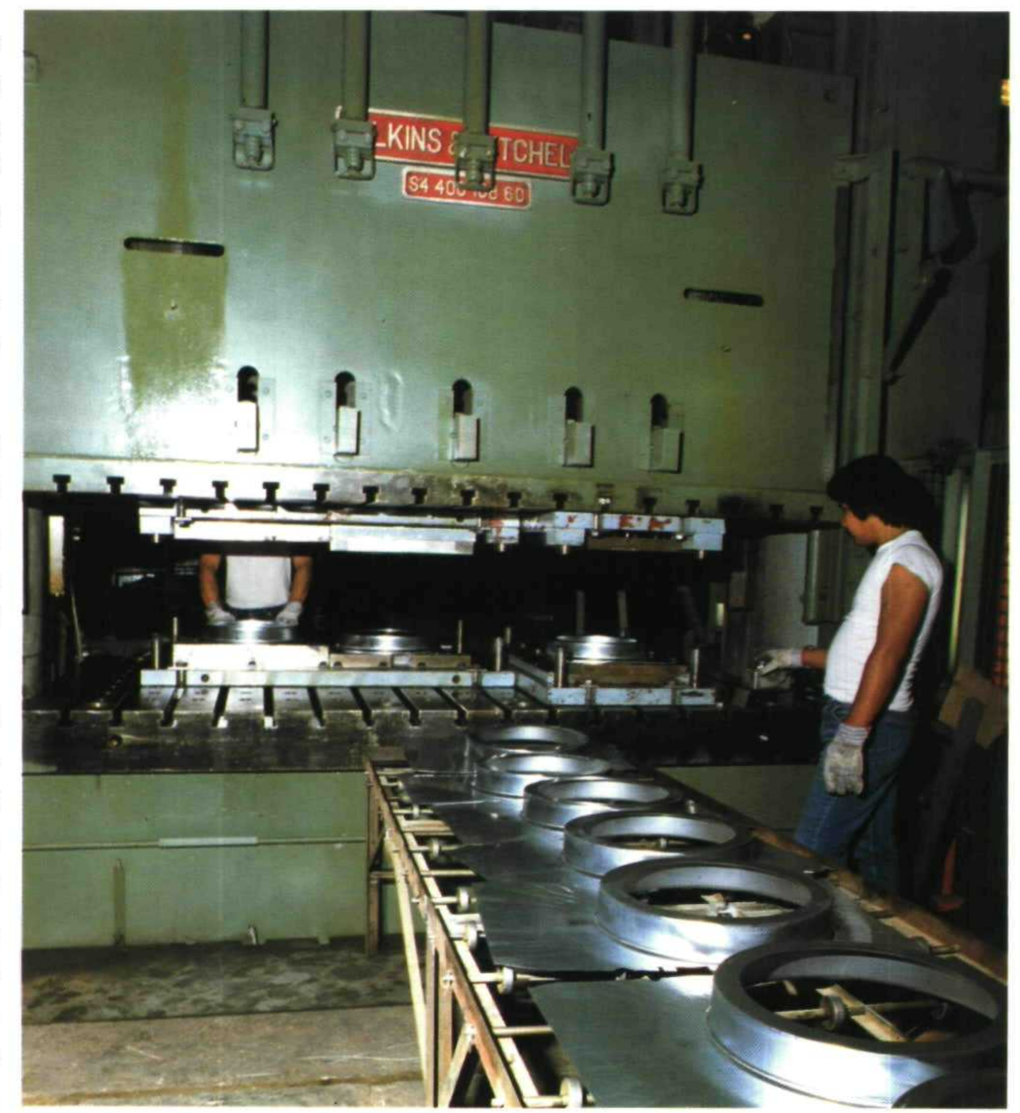
وفي ختام حديثنا عن «مصنع العيسى للمكيفات» يحدثنا الاستاذ أحمد سعيد العمري مدير التخطيط لصناعات العيسى حول الخطط المستقبلية للمصنع قائلا: «ان عملية تصنيع المكيفات المركزية ستكون ضمن خطة التطور، وقد انتهت من مرحلة الترخيص من وزارة الصناعة والكهرباء، وعقدنا اتفاقية مع الشركة للتصنيع، وسنباشر في التصنيع في مطلع ١٩٨٦، ان شاء الله». ويستطرد الاستاذ العمري قائلا: «إن النوعيات التي سيتم إنتاجها خلال الفترة القادمة تعتمد على الدراسات والمسح الذي ننوي القيام به الآن على السوق المحلية لمعرفة النوعيات المطلوبة، وللوقوف على احتياجات المشاريع الحكومية والمقاولين المحليين للسنوات القادمة».

الشركة السعودية لصناعة المكيفات المحدودة

لقد كانت محطتنا الأخيرة في جولتنا الاستطلاعية هذه عن صناعة المكيفات في المملكة، في مصنع الشركة السعودية لصناعة المكيفات المحدودة (الجفالي ــ يورك) في جدة، حيث التقينا هناك بعدد من المسؤولين في المصنع الذين حدثونا عن انتاج المصنع والعمالة والمساحة الجغرافية للتوزيع.

وقد التقينا في البداية بالسيد اقبال احمد مدير إدارة الجودة النوعية والهندسية، الذي حدثنا عن بداية الانتاج في المصنع قائلا: «ان

٣



٤



١



ذلك يعود على ما يقرب من الأربع سنوات ونصف، حيث بدأنا بانتاج مكيفات الغرف، في حين بدأنا بانتاج المكيفات المركزية في العام الماضي كما نقوم الآن بانتاج أجهزة التبريد «التشيلرز» بناء على الطلبات التي تصل الى المصنع من الزبائن.

ونحن نقوم بتصنيع ما نسبته ٨٠٪ من وحدات التكييف في مصنعنا الذي يضم أحدث آلات التصنيع المستخدمة في المصانع العالمية، حيث يتم تصنيع القضبان النحاسية والمكثفات والمبخرات والصفائح المعدنية والاسلاك الكهربائية والأجزاء الأخرى، في حين نقوم باستيراد آلة الضغط «الكمبرسير» ومروحة الدفع.

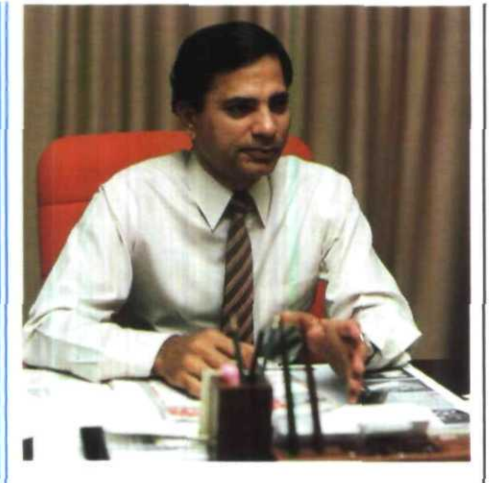
ويقوم المصنع الآن بانتاج ١٣٠٠٠ وحدة تكييف صغيرة سنويا تتراوح احجامها بين الطن والطنين، كما يقوم بانتاج وحدات التكييف المركزية التي تتراوح طاقتها بين الطن ونصف والخمسين طنا وذلك بمعدل ٥٠٠٠ آلاف وحدة سنويا تقريبا، ويستطيع المصنع رفع هذه النسبة وذلك حسب الطلبات التي تصله من الزبائن، أما بالنسبة لـ«التشيلرز» فان المصنع يقوم بانتاجها فقط حسب طلبات تصله من الزبائن وبعدد تلك الطلبات. لأنها عالية التكاليف.

وعن التحسينات التي يعمد المصنع الى ادخالها على الوحدات التي يقوم بانتاجها، يحدثنا نائب رئيس الشركة التنفيذي للعمليات السيد ارجان جورسهاني قائلا: اننا نسعى الآن الى تطوير وحدات التكييف التي نقوم بانتاجها من حيث تخفيض نسبة الضجيج الى الحد الأدنى، وتزويد وحدات تكييف الغرف بأجهزة التحكم عن بعد، حيث تم التعاقد مع شركة المانية رائدة في مجال تصنيع الأجهزة الاليكترونية لتزويدنا بأجهزة التحكم الحديثة عن بعد والتي تعمل في مختلف الاتجاهات. وستقوم هذه الاجهزة بالتحكم بالعمليات الأساسية لوحدة التكييف من حيث التشغيل والاطفاء وتغيير سرعة المروحة، كما ان من مزاياها الجيدة هو برمجتها بحيث لا تؤثر على عمل وحدة التكييف عند العبث بها من قبل الاطفال.

لا شك ان هذا التطور سيكون له مردود كبير لراحة الزبائن إذ سيسهل عليهم عملية تشغيل الوحدات دون اللجوء الى مفتاح التشغيل الرئيسي الذي غالبا ما يكون على ارتفاع يصعب الوصول اليه بسهولة، كما سيسهل عليهم عملية التحكم بالعمليات الاخرى. وسيكون بمقدور جهاز التحكم الجديد القيام بالعمليات الآنفة الذكر من مسافة تصل الى ٨ امتار. وهو يعمل ببطارية صغيرة تدوم ثلاث سنوات في حالة الاستعمال العادي للجهاز. ومع ذلك فان هذا الجهاز لن يزيد من سعر وحدة التكييف كثيرا. وهذا بالطبع امر نقدمه لخدمة زبائننا لنثبت ان المصانع الوطنية تسعى ما في وسعها لتقديم الأفضل.

وعن عدد موظفي وعمال المصنع يذكر السيد جورسهاني أن عددهم يبلغ ١٥٤ موظفا، ومما تجدر الاشارة اليه هنا انه منذ العام الماضي اتجه المصنع الى التركيز على تنمية الأيدي العاملة السعودية ــ من الشباب خاصة ــ حيث يتم تدريبهم في «مركز الجفالي للتدريب الفني» ومن ثم يتم إلحاقهم بالمصنع، حيث يعمل الآن عشرة منهم، اثنان بصورة دائمة وثمانية تحت التدريب سيتم إلحاقهم بالعمل بصفة دائمة في هذا العام.

٢



وعن المصنع نفسه يقول ان المساحة التي يشغلها المصنع تبلغ ١٥٠٠٠ متر مربع من بين المساحة الاصلية للشركة البالغة ٣٠٠٠٠ متر مربع.

وعن حجم انتاج المصنع قياسا للسوق المحلية يفيد السيد جورسهاني بان انتاج المصنع يغطي بين ١٨ ــ ٢٠ في المائة من السوق، وهو يمثل تقريبا ٤٥٪ من انتاج المملكة للمكيفات.

وفي ختام زيارتنا لمصنع الجفالي للمكيفات كان لنا لقاء مع الاستاذ زايد صعب نائب الرئيس التنفيذي للتسويق الذي حدثنا عن عمليات تسويق مكيفات «يورك» في المملكة قائلا: «اننا نقوم بتوزيع مكيفات

٣

٤



تصوير: علي عبدالله خليفة ـ ارامكو
عبدالله الدبيس ـ ارامكو
خدمات التصوير المهنية ـ الخبر

١ ـ عدد من الشباب السعوديين الذين يتلقون تدريباتهم في مركز الجفالي للتدريب الفني.

٢ ـ السيد ارجان جورسهاني نائب رئيس شركة الجفالي التنفيذي للعمليات يتحدث للقافلة.

٣ ـ مكائن متطورة لطلاء الصفائح المعدنية في مصنع الجفالي للمكيفات.

٤ ـ السيد اقبال احمد مدير ادارة الجودة النوعية والهندسية في شركة الجفالي يشرح طريقة عمل المكيف الجديد الذي تصنعه الشركة والذي يعمل بطريقة التحكم عن بعد.



خط تجميع المكيفات المركزية في مصنع الجفالي، وهو خط حديث بالامكان تحريكه حسب حجم الوحدات التي يتم تصنيعها في المصنع.

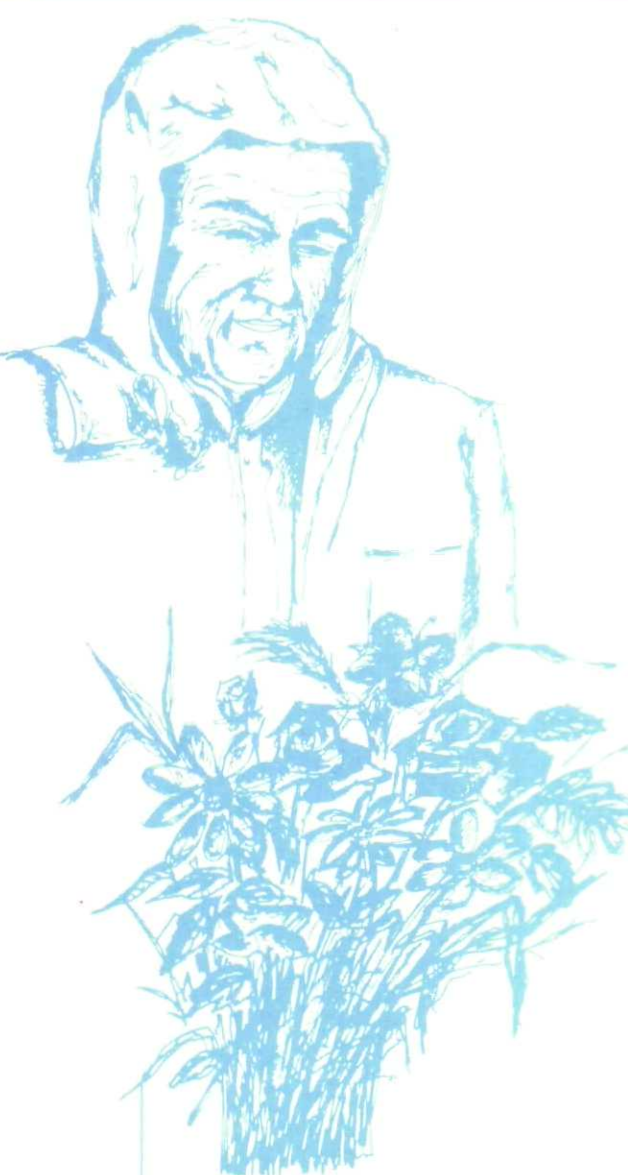
«يورك» عبر ثلاثة فروع رئيسية في كل من جدة والرياض والدمام، هذا بالاضافة الى مراكز الخدمة المنتشرة في معظم مدن المملكة الرئيسية. كما ان هناك احد عشر مركزا رئيسيا للصيانة تقوم بتقديم خدماتها للزبائن وتوفير قطع الغيار لمكيفات «يورك» التي يتم شراؤها من الموزعين المعتمدين».

وقد أشاد الاستاذ زايد صعب في ختام لقائنا بدعم الدولة اللامحدود للمصنعين المحليين وذلك لدفعهم الى بناء قاعدة صناعية وطنية متينة، حيث قال: «ان القروض والاعانات السخية التي تقدمها حكومتنا الرشيدة لأصحاب رؤوس الأموال من أجل تشجيعهم على الاستثمار في القطاع الصناعي أمر يدعو الى الفخر وقد أغرى العديد من المستثمرين الى الاتجاه للاستثمار الصناعي الذي بدأنا نقطف ثمراته الآن، حيث أصبحت منتجاتنا المصنعة محلياً تضاهي مثيلاتها المصنعة في الدول الصناعية المتقدمة». وأضاف الاستاذ زايد صعب في هذا الصدد قائلا: «ان كل ما ننشده الآن كمصنعين هو توفير الحماية لمنتجاتنا كي تقف على أرجلها وكي تثبت للزبون بانها لا تقل جودة عن مثيلاتها الاجنبيات التي عمد مصنعوها الى اغراق السوق بها من اجل القضاء على الصناعة الوطنية والتفرد بالسوق».

وبعد إن كان لنا كلمة في نهاية هذا المقال فستكون دون شك عن انطباعنا عن تلك الصناعة التي دهشنا لما شاهدناه من حرص اصحابها على تقديم الافضل للمستهلك في هذا البلد وسعيهم الحثيث الى تطوير منتجاتهم لكسب ثقة الزبائن، وقد تمثل ذلك في ما احتوته مصانع المكيفات من معدات واجهزة تقنية متطورة وما يوجد فيها من كفاءات فنية وتقنية وادارية على مستوى عال من الخبرة تؤهلها لتقديم كل ما هو جديد في هذه الصناعة بالمملكة، بل ان بعضهم يسعى الى ابتكار الجديد.

وهنا لا بد ان نعود ونشير الى دعم الدولة اللامحدود للصناعة الوطنية، والذي دفع بعض المستثمرين ليس الى الاتجاه للاستثمار الصناعي فقط، بل شجعهم ــ الى جانب دوافعهم الوطنية ــ على انشاء مراكز تدريب لتطوير العمالة السعودية الفنية وتشجيعها للمشاركة في نهضة المملكة الصناعية، وهذا هو ما يقوم به «مركز التدريب الفني» التابع لشركات الجفالي والذي يضم نخبة من الشباب السعودي يتراوح عددهم الآن بين ٧٠ ــ ٨٠ متدربا يتلقون تدريباتهم النظرية والعملية في هذا المركز من اجل اعدادهم للعمل في المصانع المختلفة التابعة لشركة الجفالي. وهم الى جانب تدريباتهم العملية والنظرية يتلقون تدريباتهم على رأس العمل في تلك المصانع حتى يتم تخرجهم والتحاقهم بالعمل رسميا. ومثل هذا المركز وان كان قد نشأ بصورة فردية وبمبادرة شخصية من شركة الجفالي، الا ان الدولة ــ بعد ذلك ــ رحبت بالفكرة وتبنتها وقدمت الدعم المادي والمعنوي لها وذلك من اجل تشجيع الشباب السعودي على دخول مضمار العمل الصناعي والاسهام في بناء القاعدة الصناعية في مملكتنا الحبيبة.

وأملنا كبير في أن يحذو كبار المستثمرين الصناعيين في المملكة حذو شركة الجفالي في افتتاح مراكز مماثلة، كي تحل الايدي العاملة السعودية محل العمالة الاجنبية، وما من أدنى شك في ان شبابنا السعودي لا يقل كفاءة عن غيره فيما لو أتيحت له فرص التدريب الفني الجاد والفعال ولعل في الشباب الملتحقين بمركز التدريب الفني في شركة الجفالي المثال الحقيقي على ذلك □



ليالي الشوق

شعر: الراحل أحمد محمد أبو شلباية / الرياض

ليالي الشوقِ بالأحلامِ عودي ... وان صارتْ خيالاً فاستزيدي
حننتُ لها على يأسٍ ! ولكنْ ... كفاني الذكرُ للقلبِ العميد
خلتْ دارُ الحبيب فدعْ فؤادي ... يذكّرُ بالأحبَّةِ من بعيد
يرفرف طيرُه في كل جنبٍ ... ويخفقُ جنحُه فَوق المهود
لقد كانوا ـ وما كانوا ـ وولّوا ... كما ترنو الثريّا في الوجود
فلا أدري أعشرينا قضينا ؟ ! ... سنينا كنّ أم آلاً ببيد ؟
وعمرُ الزهر ساعةَ ان تراه ... ويذوي وهو في زِيٍّ نضيد
بنفسي في الثَّرى تلكَ الثنايا ... لآلىء أو كحباتِ البرود
وبدرٌ قد طواه دجى الليالي ... فروّح وهو في عمر الوليد
وحوراءٌ لها عينا مهاة ... بفرع فاحمٍ ترنو وجيد
لها لغةٌ يبين الصمتُ عنها ... فيغنيني عن اللفظِ المفيد
فيا رباه كم تجني الفيافي ... قطوفا من أزاهير الخدود
فعدنا بعدها أحلافَ حزنٍ ... وما أشقىٰ الحياة على وحيد
أزَهْرَتِيَ التي ذبُلت وجفَّت ... على فرعيْك كم غنَّى قصيدي
رأيتُ بكِ الحياةَ جنًى وظلّاً ... ونُعْمَى بين انفاس الورود
وأياماً يرفُّ بها شبابي ... كما رفَّ الأقاحُ على البنود
أعاودها فلا أدري أكانت ... خيالاً أم حقائقَ في وجودي
لها في القلبِ نيرانٌ تلظَّتْ ... تقولُ لأضلُعي هل من مزيد
فان آثرتها عني إلهي ... فآثِرْها بجنات الخلود
وزد شوقِي بها في كل حين ... يذكّرني بها طول العهود
ويا غيثَ السماءِ أغثْ ثراها ... بطلّك لا بوابلك الشديد
عسى العود الذي قد جفَّ يندى ... وتبتسم الثنايا من جديد

قصة قصيرة

الزوجة الثانية

بقلم: محمد صالح ابراهيم / الخرطوم



اقبل الدكتور حسنين على زوجته الراقدة المريضة، وأزاح الغطاء برفق من على وجهها وهو يقول برفق ايضا متسائلا.. نائمة؟ وفتحت الزوجة عينيها بلا النافية! وجلس على حافة الفراش وقال لها: الأفضل الا تغطي وجهك. ووضع كفه على جبينها الناصع: كيف حالك الآن؟ ثم رفعه وجسّ نبضها ونظر اليها فقالت له: اني الآن أحسن كثيرا والحمدلله. ولكني.. لكني تعبت من الرقاد. وحاولت النهوض ببطء ومدت يدها الى ابريق الماء الموضوع على منضدة بجوار السرير. وأوقف الدكتور محاولتها هذه باشارة خفيفة مميزة من يده، وأخذ يصب الماء في الكوب وهو يخاطبها: تأكدي ان الصداع سيزول ان شاء الله. ثم يناولها كوب الماء وبعض الاقراص المسكنة للصداع ويبتسم لها: سأعد لك كوبا من الحليب فان ذلك يفيدك. فتعترضه: لا. لا. من فضلك لا داعي لشيء من ذلك لقد أتعبتك بمرضي هذا. فيرد عليها مستنكرا: أتعبتني؟! أليس غريبا ان تقولي ذلك لي؟

جلس الدكتور في العيادة وعن يمينه أحد المرضى يبدو عليه الضيق الشديد بميزان الحرارة الذي وضع في فمه. ولما سحب الدكتور الميزان شعر المريض بالارتياح. قال له الدكتور: متى شعرت بهذه الحمى؟ أجاب: ليلة البارحة.

— وهل يأتيك صداع؟

— لا.

— افتح فمك وأخرج لسانك.

وفتح المريض فمه الى آخر ما يمكن وشد اعصاب وجهه وهو يخرج لسانه بطريقة غريبة مضحكة. وكتب له الدكتور الدواء وهو يقول: تأخــذ هـذا الـدواء وتشفى باذن الله.

ونهض المريض وقاده الممرض نحو الباب للخروج. ثم نهض الدكتور وهو يقول للممرض: انتظرني وسأعود بعد قليل. ثم يغيب داخل غرفة زوجه المجاورة لغرفة العيادة. فلما رأته الزوجة همت بالنهوض من فراشها لكي تعد له طعام الافطار. فيمسك بيدها ويردها: لا. لا. ارجوك لا تتعبي نفسك وسأفعل ذلك بنفسي. ثم يتركها ويتجه نحو باب الغرفة المؤدي الى المطبخ، وقبل ان يلجه يلتفت اليها ويرسل اليها ابتسامة واعدة: سأعد لك اللبن اولا.

لقد مضى اسبوع كامل على مرض الزوجة وكان الدكتور في خلال ذلك يقوم بتمريضها دون أية مساعدة من احد. ولا غرابة في ذلك فانه يكره بطبيعته تشغيل الخدم في بيته. ولذا فهو يعد الطعام لزوجه المريضة ولنفسه ويقوم بخدمتها وخدمة المرضى بالعيادة في آن.

كان الدكتور في غرفة العيادة يواصل حديثه مع صديق له: هل أنت جاد يا صديقي؟

وأخذ الصديق يقهقه.

واعتدل الدكتور في جلسته وهو يداعب السماعة في يده ويوجه الحديث لصديقه: يعني غريبة، الواحد يتزوج امرأة ثانية؟

ويرد عليه صديقه: الزواج بامرأة ثانية أو ثالثة أو رابعة ليس غريبا ولكن اذا حدث ذلك من دكتور يعتبر غريبا جدا جدا.

واجاب الدكتور ممتعضا: يا صديقي انا مضطر. انا عندي مشكلة لا ارى لها حلا.

وهنا انفرج الباب قليلا وظهر منه الممرض. والتقت عينا الدكتور بعيني الممرض، وفهم بالعادة ان هناك مريضا منتظرا. فأشار اليه: لحظة واحدة. وواصل حديثه مع صديقه: أقول يا صديقي اني مضطر لأني متعب لا استطيع القيام بخدمة البيت الى جانب العمل في العيادة.

ويرد عليه الصديق: هذا صحيح ولكني أخشى بل أؤكد انك اذا تزوجت امرأة ثانية ازداد تعبك.

وحينئذ نهض الدكتور وهو يقول معبرا عن كلامه بيديه: ما أظن. لان الزوجة الثانية ستقوم بخدمتي وخدمة اختها المريضة.

الصديق: تقصد ضرتها؟! قال ذلك وتقدم نحو الباب وخرج مقهقها.

وفي الوقت نفسه دخل الممرض ومعه رجل وزوجته المريضة ورحب بهما الدكتور.

الرجل: هذه زوجتي يا دكتور مريضة.

الدكتور: مشيرا الى مقعد بجانبه: تفضلي يا سيدتي اجلسي.

وبدأ الكشف على المريضة.

قال الرجل: انها تشعر بآلام فظيعة في جسمها ورأسها مع انه يا دكتور منذ تزوجتها قبل عشر سنين لم تمرض قط، ولكنها وقعت فريسة للمرض كما ترى في الاسبوع الماضي على غير انتظار.

الدكتور متسائلا: على غير انتظار؟!

الرجل: نعم. لقد عشنا معا فترة طويلة لم نعرف خلالها المرض لا أنا ولا هي. وفي الاسبوع الماضي اصيبت فجأة بهذه الآلام التي لا اعرف لها سببا.

الدكتور: لكل شيء سبب. وغالبا ما يكون هذا المرض نفسيا.

الرجل: نفسيا!؟

الدكتور: نعم. تقول انك تزوجتها منذ عشر سنين.

الرجل: نعم.

الدكتور: هل حدث بينكما خلال تلك الفترة أي شقاق أو غير ذلك من المشاكل الزوجية؟

الرجل: ابدا ولا مرة واحدة. كنا نعيش في سلام ومحبة ووئام تام.

الدكتور: اذن فأمس فقط حدث بينكما الشقاق أليس كذلك؟

الرجل: أبدا ابدا.

الدكتور: اذن ماذا حدث؟

الرجل: لو فرضنا أن شيئا حدث في حياتنا أصيبت بالمرض على اثره، فكل ما في الأمر هو اني تزوجت عليها امرأة اخرى.

وحينئذ ارتد الدكتور الى الوراء كأنما اصابته صدمة وهو يصيح بالرغم منه: لا يا شيخ!

★ ★ ★

أخذ الدكتور يتمشى جيئة وذهابا على ارض الغرفة وحده، ثم يقف ويتأمل ويتحدث الى نفسه: كيف العمل!؟ واذا تزوجت انا امرأة اخرى ماذا تكون النتيجة!؟ هل تكون كما سمعت يزداد المرض على «سلوى» ويزداد تعبي؟! ثم يستأنف المشي وهو يتأفف ثم يقف فجأة كمن تذكر شيئا ويتسائل: ومن يدري لعلها تكون مفاجأة لسلوى يزول على أثرها الصداع.

ويبتسم ابتسامة خفيفة تضطرب لها شفتاه: لكن لو فرضنا أن الزوجة الثانية مرضت هي الأخرى وأصبح أمامي امرأتان مريضتان علي وحدي خدمتهما وتمريضهما.

وفي اللحظة التالية يراجع نفسه: لا. لا. ان ذلك احتمال بعيد. بل انه من الاوهام. اني متأكد ان سلوى ستكون مسرورة ونشيطة كالحصان.

ويجلس وهو يقول: خلاص. اتزوج، اتزوج. وانتهى بذلك الى قرار. وفي الوقت نفسه يفتح باب الغرفة ويدخل الممرض ومعه العمدة. وينهض الدكتور مستقبلا ومرحبا ويصافحه بحرارة ثم يبدأ حديثه: أنا يا عمدة عندي موضوع هام جدا اريد رأيك فيه. وقبل ذلك لا انسى أن أسألك عن صحتك وصحة الاولاد وابنتك المبروكة هل مستمرة في الجامعة على ما يرام؟

اجاب العمدة: نعم الحمد لله ولكني جئت اليك الآن برجاء ان تتكرم وتصحبني الى البيت فان زوجتي تشكو من ألم شديد. قال ذلك ووضع يده على جنبه الايمن مشيرا به الى موضع الألم عند زوجته.

قال له الدكتور: اطمئن. سأعطيك دواء تستعمله يريحها وسأزورك غدا بالمنزل ان شاء الله.

العمدة في قلق ظاهر: أتشرف بزيارتكم لي يا دكتور ولكني غير مطمئن الآن.

الدكتور: لماذا؟

العمدة: اخشى ان يكون عندها المصران الاعور.

الدكتور يهز رأسه متعجبا ومؤكدا: يستحيل لأني كما تعلم استأصلته لها منذ شهرين، ولم اسمع عن انسان ظهر له مصران اعور مرة اخرى.

العمدة: يا دكتور، او لم تسمع ايضا عن انسان ظهرت له زوجة اخرى؟

وهنا ارتد الدكتور الى الخلف رافعا ذراعيه من المفاجأة وهو يقول: لا حول ولا قوة الا بالله!

انتهى وقت العيادة وظل الدكتور حسنين يفكر ويفكر في هذه المشكلة التي تواجهه. ثم نهض مثقلا حزينا ودخل منزله. ولم يجد زوجته في غرفتها. وبينما هو يتلفت يمنة ويسرة رآها تخرج من المطبخ وتقبل عليه. قال لها معاتبا: الم أقل لك انك تحتاجين الى الراحة والهدوء فماذا كنت تفعلين في المطبخ.

ابتسمت سلوى وهي تقول: ألا تذكر أني قلت لك اني تعبت من الرقاد؟

هو — نعم اذكر ذلك.

هي — أجل وقد آثرت منذ الصباح النهوض والحركة وها انت ذا تراني الآن نشيطة وقد زال عني الصداع.

هو — صحيح والحمدلله. وماذا هناك على المائدة؟

هي — طعام الغداء اعددته بنفسي؟

هو — بارتياح: ما اروعك! انك بما فعلت لم تستعيدي صحتك وقوتك وعملك فقط وانما حللت مشكلة معقدة كانت تواجهني مواجهة عنيفة!

هي — يا لله! وما هي؟

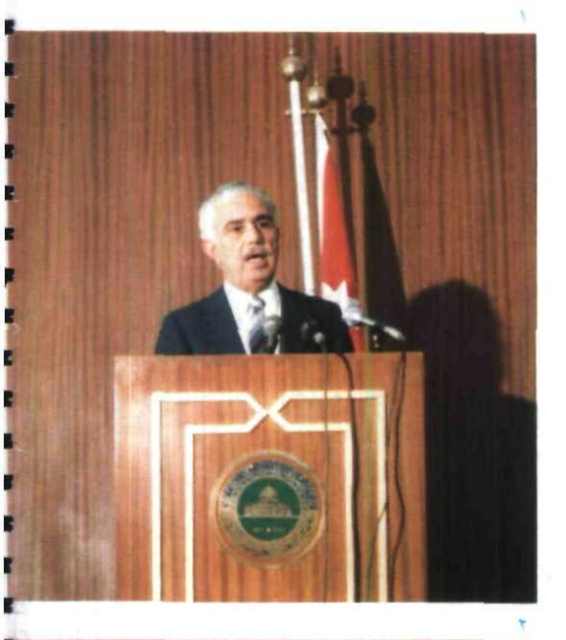
هو — لا عليك والحمدلله على سلامتك فإلى المائدة □

حول مؤتمر التعريب الخامس

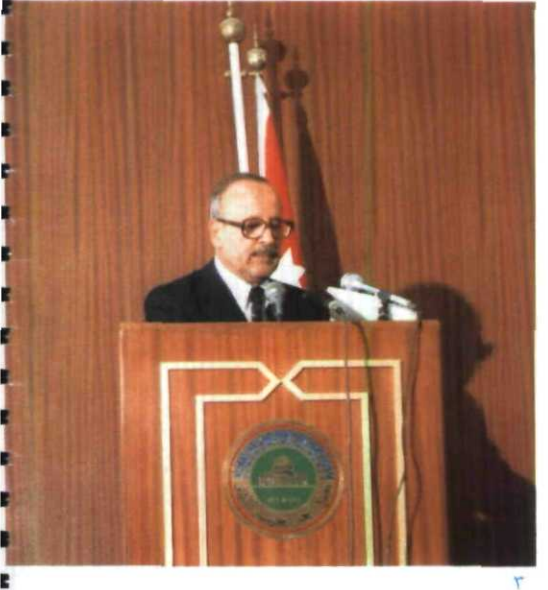
ابراهيم أحمد الشنطي / هيئة التحرير

عقد في مقر مجمع اللغة العربية الأردني، في عمان، في الفترة من ٧ إلى ١١ محرم ١٤٠٦هـ مؤتمر التعريب الخامس، الذي دعت إليه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. وقد حضره عدد كبير من رجال الفكر والثقافة والاعلام.

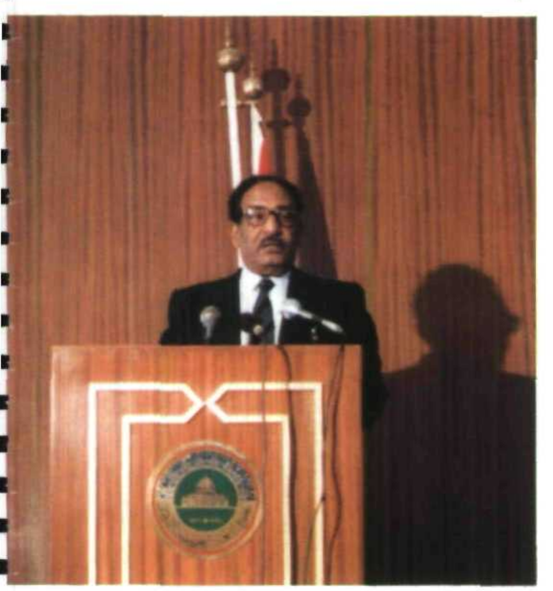
١



٢



٣



١ ـــ مندوب جلالة الملك الحسين، معالي الدكتور ناصر الدين الأسد ـــ وزير التعليم العالي في الأردن، يلقي كلمة الافتتاح.

٢ ـــ الدكتور عبدالكريم خليفة ـــ رئيس مجمع اللغة العربية الاردني، يلقي كلمته في حفل افتتاح مؤتمر التعريب الخامس.

٣ ـــ الدكتور محيى الدين صابر ـــ المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، يلقي كلمته في المؤتمر.



لمحة موجزة عن مؤتمرات التعريب

قبل ان نتحدث عن مؤتمر التعريب الخامس نود ان نستعرض فكرة التعريب من خلال المؤتمرات الأربعة السابقة والجهود التي بذلتها في هذا السبيل.

فالمعروف ان الأمم بلغاتها، فكلما عزت امة عزت لغتها واتسعت رقعة استعمالها، وكلما هانت امة هانت لغتها وانطوت معها وتلاشت. ولذا نجد الأمم القوية احرص ما تكون، عندما يتسنى لها الأمر، ان ترفع من شأن لغتها وتحاول نشرها خارج حدودها بقدر ما تستطيع.

وقد حفظ القرآن الكريم اللغة العربية، وستبقى على مر الأيام عزيزة مصونة، بفضل الله سبحانه ﴿**انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾. وحفاظا على هذه اللغة الكريمة تداعت نخبة من رجال الفكر واهل العلم والمعرفة، من مختلف اقطار الوطن العربي، الى عقد مؤتمر للتعريب لبحث الأسس والأطر القويمة ووضع الخطوط العريضة لتعريب العلوم التقنية الحديثة وتوحيد مصطلحاتها، وسبيل ذلك، كما قال الاستاذ محيى الدين صابر — المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، في كلمته الخاصة أمام المؤتمر هو: «تعريب لغة التدريس في الكليات العلمية والمهنية في الجامعات، وتعريب لغة الانتاج العلمي في مراكز البحوث العلمية العربية. ومن تمام هذا العمل ان يتم اعداد هيئة التدريس وهيئة البحوث العلمية القادرة على الأداء باللغة العربية. وقد اتخذت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، من خلال مؤتمرها العام، اجراءات من شأنها تحقيق هذا الهدف بانشاء المؤسسات التي تنهض بذلك، سواء عن طريق توسيع وعاء الترجمة والتعريب والتأليف والنشر، أو بإعداد الأطر العلمية في المستويات العليا».

مؤتمرات التعريب

عقد المؤتمر الأول للتعريب في مدينة الرباط — عاصمة المملكة المغربية، سنة ١٩٦٩م، وقد تدارس المؤتمرون الخطة العامة للتعريب ومن اهمها توحيد المصطلح العربي المقابل للمصطلح الأجنبي، في مختلف مراحل التعليم.

وعندما عقد المؤتمر الثاني للتعريب في مدينة الجزائر سنة ١٩٧٣م، تم توحيد المصطلحات العربية في مواد الكيمياء والجيولوجيا والرياضيات وعلوم الرياضيات والنبات والحيوان والفيزياء لمراحل التعليم العام.

وفي المؤتمر الثالث للتعريب، الذي عقد في طرابلس بالجماهيرية الليبية، سنة ١٩٧٧م، جرت دراسة عدد من مشروعات المعاجم والمصادقة عليها، وهي خاصة بالتعليم العام، وتتعلق بمصطلحات الجغرافيا والتاريخ والفلسفة والفلك والرياضيات والصحة، وكذلك المصادقة على مشروعي معجمين: احدهما في الاحصاء والآخر في الرياضيات لمستوى التعليم الجامعي والعالي.

ولما عقد المؤتمر الرابع في طنجة — بالمغرب، سنة ١٩٨١م تم توحيد المصطلحات المهنية والتقنية في مختلف فروع مرحلة التعليم العام، وكذلك جرت المصادقة على مشروع معاجم في مستوى التعليم الجامعي لتخصصات النفط والجيولوجيا.

مؤتمر التعريب الخامس

عقد المؤتمر الخامس في العاصمة الأردنية اللغة العربية الأردني وكيف استطاع، مع امكاناته المادية المتواضعة «... ان يترجم الى العربية، حتى الآن، حوالي خمسة عشر مصدرا من أمهات المصادر في الفيزياء والكيمياء والاحياء والجيولوجيا والرياضيات التي تدرس في الجامعات». كما أعرب، في ختام كلمته، عن أمله بأن يتخذ القادة العرب «.. قرارا تاريخيا يعيد للّغة العربية الفصيحة سيادتها في اوطانها بأن تكون لغة التدريس في جميع قد يترجم الى العربية بكلمات مختلفة لاتساع اللغة العربية من ناحية، ولترك الأمر للاجتهاد الشخصي من ناحية اخرى. ومن هنا قامت الحاجة لتوحيد المصطلح العربي حتى تنشأ لغة علمية موحدة يكون لكل مفهوم علمي محدد فيها كلمة واحدة. وهذا امر على جانب كبير من الأهمية، ذلك انه يعمل على تأصيل حقيقتين أساسيتين: إحداهما قومية — وهي تأكيد الوحدة الفكرية، والأخرى حضارية —



١



٢

من ٧ — ١١ محرم ١٤٠٦هـ، وقد جاء استجابة لقرار اتخذ خلال المؤتمر الرابع، حيث تقرر ان تعقد مؤتمرات التعريب، من حيث المبدأ، بمعدل مرة كل ثلاث سنوات، لتحقيق هدفين: احدهما دراسة المعاجم العلمية التي يضعها العلماء المتخصصون في مختلف الفروع ومناقشتها من قبل اللجان المتخصصة في المؤتمر ثم المصادقة عليها واقرارها، والهدف الآخر بحث سياسة التعريب وتقويم مسيرته لمواكبة التطور السريع الذي يشهده العالم في مجالات التقدم العلمي.

وقد ألقى الدكتور عبدالكريم خليفة، رئيس مجمع اللغة العربية الاردني، كلمة في حفل افتتاح المؤتمر تحدث فيها عن جهود مجمع مستوياته ومجالاته، لا سيما في الكليات العلمية والمهنية مثل كليات العلوم والطب والهندسة والصيدلة والزراعة وغيرها، وان تكون العربية لغة البحث العلمي والتقنيات الحديثة والحياة الحضارية..».

ثم ألقى الدكتور محيي الدين صابر — المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، كلمة تحدث فيها عن مؤتمرات التعريب الدورية فقال: «انها وسيلة منهجية من وسائل عمل مكتب تنسيق التعريب لتوحيد المصطلحات العلمية، في اختيار المقابل العربي الأدق والأوفق. ذلك ان مشكلة المصطلح العلمي الأجنبي ليس في تعريبه، ولكن في توحيده. فالمصطلح الأجنبي الواحد وهي اقتحام المعاصرة التقنية..».

بعد ذلك ألقى معالي الدكتور ناصر الدين الأسد-وزير التعليم العالي الاردني كلمة المؤتمر مندوبا عن جلالة الملك الحسين، وقد أشار الى ان بعض اسباب ضعف تعلم اللغة العربية مدسوس علينا، فأوهَمَنا غيرُنا بأن اللغة العربية في جوهرها معقدة صعبة «..واخذ هذا الوهم يشيع بيننا ويستقر في نفوسنا، حتى أصبحنا نحن الذين نردده ونؤكده. ونسينا تاريخ هذه اللغة حين اشترك كثير من غير أهلها في بنائها الثقافي والحضاري، فكان من هؤلاء المفسرون والمحدثون والرواة والكتاب والشعراء والعلماء والنحاة واللغويون... ومنهم من تعلم العربية ولم تكن لسان طفولته، فنبغ فيها وكتب

وألَّف، بل صار معلما للعرب، يعلمهم قواعد لغتهم ونحوها وصرفها وبلاغتها ونقدها. ولم يقل احد منهم، حينئذ، ان العربية لغة صعبة ليصرف نفسه ويصرف الناس عنها..».

وخلال فترة انعقاد المؤتمر، التي استغرقت خمسة ايام، تدارس المؤتمرون تسعة مشروعات معاجم. وقد خصص لكل معجم لجنة تعنى به وتناقشه تمهيدا لاقراره بصفة نهائية. وقد اعد مكتب تنسيق التعريب في

بحوث المؤتمر

ألقيت في اليوم الرابع للمؤتمر، في قاعة المحاضرات بمجمع اللغة العربية، ثلاثة بحوث خاصة بقضايا التعريب ومشكلاته.

وكان أول هذه البحوث هو بحث بعنوان: الصعوبات المفتعلة على درب التعريب، للدكتور جميل ملائكة ــ استاذ الهندسة المدنية بجامعة بغداد، وعضو المجمع العلمي العراقي.

١ ــ جانب من اعضاء لجنة التربية الذين قاموا بدراسة مشروع المعجم الخاص بالتربية ومناقشته واقراره.

٢ ــ اللجنة الخاصة بدراسة مشروع معجم اللسانيات.

٣ ــ لجنة دراسة مشروع معجم الفيزياء العامة والفيزياء النووية.

٣





الرباط، بالمغرب، ستة من هذه المعاجم وهي خاصة بمصطلحات: علم الاجتماع، التربية، اللسانيات، الفيزياء العامة والفيزياء النووية، الكيمياء، الرياضة البدنية. اما الثلاثة الأخرى فقد قدمتها مؤسسات عربية متخصصة وهي: مشروع المعجم العربي للمصطلحات الاحصائية والسكانية ــ وقدمه المركز العربي للاحصاء والتوثيق، ومشروع القاموس العربي لمصطلحات السكك الحديدية ــ وقدمه الاتحاد العربي للسكك الحديدية، ومشروع المعجم الزراعي والفاظ العلوم الزراعية ــ وقدمته المنظمة العربية للتنمية والزراعة. وقد وضعت اللجان المتخصصة لكل مشروع توصياتها بشأنه بناء على ما ارتأته اثناء دراستها له.

وقد أورد الدكتور ملائكة، في بحثه القيم، الكثير من الأمثلة والمقارنات بين المصطلحات العربية والاجنبية، وقال: «.. ان من اولى المشكلات انه لا يزال بين المثقفين العرب اناس يتخوفون من التعريب، أو هم لا يؤمنون بقضيته، فيختلقون في سبيله العقبات ويفتعلون امامه الصعوبات.» وكان من أهم المواضيع التي تطرق اليها الباحث في بحثه: ضرورة عدم الانتظار حتى تكتمل المصطلحات للبدء بالتعريب، اللفظ لا يُعَدّ مصطلحا الا بعد تداوله، التعريب هو الذي يفضي بالمصطلحات الى التوحيد، عدم توحيد المصطلحات لا يشكل عقبة في درب التعريب، الدوريات العلمية تواكب ترسيخ اللغة العلمية ولا تسبقه، العربية اوفر عطاء من كثير من اللغات العلمية، اختلاف اللغات في خصائصها وطرائقها، العربية لغة اشتقاقية الصاقية، المجاز، خطأ اخضاع العربية لقواعد لغة اجنبية، خطأ استعمال ألفاظ نصفها عربي والنصف الآخر اجنبي، المصطلح وعلاقته بالمعنى، ضرورة الحد من شيوع الالفاظ الاعجمية.

اما البحث الثاني فكان بعنوان: تعريب علوم الطب، للدكتور حسني سبح ــ رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق. وقد تناول فيه تعريب العلوم الطبية منذ أيام دراسته، هو، للطب باللغة التركية، قبيل قيام الحرب العالمية الاولى. حيث درس الطب هو وصحبه بالتركية

١



١ ــ جانب من العلماء والأدباء والمربين العرب، الذين حضروا المؤتمر، يستمعون للكلمات التي ألقيت في حفل الافتتاح.

٢ ــ أعضاء لجنة مشروع المعجم الزراعي والعلوم الزراعية.

٢



طوال السنوات الأربع الأول، وختموها في السنة الخامسة بدراسة اللغة العربية. ثم تطرق الى الطب العربي الاسلامي الأول، والى تدريس الطب في مدرسة أقيمت لذلك في ناحية ابي زعبل بمصر، أيام محمد علي باشا، الذي استقدم لها أساتذة من فرنسا جاعلا التدريس فيها بالعربية. بمساعدة مترجمين وظل زهاء سبعين عاما، الى ان احتل الانجليز مصر، في عام ١٨٨٢م، ففرضوا تعليم العلوم بالانجليزية. وبذلك حلت اللغة الانجليزية محل العربية في تدريس الطب، الذي انتقل من ابي زعبل الى مدرسة القصر العيني، وغير اسمها الى كلية الطب، ثم الحقت بالجامعة المصرية (القاهرة اليوم) وظل تدريس الطب فيها بالانجليزية حتى اليوم.

وقد تكلم الدكتور سبح في ختام حديثه عن تاريخ تعريب الطب في مصر وبلاد الشام، وما آل اليه الحال في بعض كليات الطب العربية حديثا، ثم اعرب عن امله بأن «... تولي الحكومات العربية لغتها القومية مزيدا من العناية بها، في مراحل التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي، حتى يحذق الطلبة اصولها وطرائق التعبير بها... وان تعنى بتنمية الدراسات اللغوية على اصول صحيحة.. فقضية التعريب امانة في عنق كل منا، وما علينا الا ان نخلص النية ونصدق في العمل ليتم لنا ما نطمح اليه...».

وكان ثالث البحوث المقدمة في المؤتمر بحث بعنوان «نحو نظام عربي للرموز العلمية» للدكتور احمد سعيدان، استاذ الرياضيات في الجامعة الاردنية، وقد استعرض فيه امكان استبدال الحروف اللاتينية بحروف عربية في بعض المجالات. وذكر ان لجنة تعريب الرياضيات البحتة «قد استطاعت ان تترجم الكتب المختارة دون استعمال حروف اجنبية..». واشار الى ان التعريب يختلف عن الترجمة، وان الابقاء على الرموز الانجليزية بجانب نص عربي يثير الاشكالات لدى الطلاب «.. فكتابة المعادلات بالانجليزية يقتضي ان تكون خطوات الحل كلها بالانجليزية، وهذا انما هو ــ لغم ــ يوضع في جذور اللغة العربية ليقتلعها من صفوف

المتعلمين العلميين، ومن ميدان العلوم الرياضية.. هذا بالاضافة الى ان الطالب العربي والمسلم، ينتابهما الشعور بأنهما يدرسان بالعربية موضوعات اولى ان تدرس بالانجليزية، وانهما في هذا العمل مجرد متلقين، ولم يبلغا حد الاستقلال الفكري عن واضعي هذه الرموز ...»

الوفود إلى المؤتمر

شارك في المؤتمر وفود تمثل مختلف البلدان العربية ومكتب تنسيق التعريب في المغرب، وقد بلغ عدد اعضائها نحو خمسين عضوا، بالاضافة الى عدد كبير من المربين والعلماء والمثقفين، وخاصة من الاردن، الذين ساهموا في اعمال لجان دراسة مشاريع المعاجم واقرارها.

توصيات المؤتمر الخامس للتعريب

في ختام جلسات المؤتمر أقر المؤتمرون عددا من التوصيات الخاصة بالتعريب، مع التأكيد على اهمية الحفاظ على اللغة العربية على مختلف المستويات الرسمية والعامة والخاصة، ومن أهم هذه التوصيات:

★ إن اللغة العربية مقوّم رئيسي من مقومات وجود الأمة العربية. وكل ضعف، أو إضعاف، يصيب اللغة هو خطر يتهدد الكيان العربي ووجوده.

★ إن تأصيل العلوم لا يكون الا بلغتها، ولذلك فان لحاق الوطن العربي بالحضارة العالمية المعاصرة، ومواكبته لها، ومشاركته فيها، يجب ان يبدأ باستخدام اللغة العربية لغة للتدريس في جميع مراحل التعليم واعداد المصطلحات العلمية الموحدة المناسبة لذلك.

★ إن تأصيل اللغة لا يقتصر على الأخذ بها في مرحلة تعليمية دون مرحلة، وانما يجب ان يساير مراحل التعليم كلها، منذ بدايتها وحتى المراحل العليا من البحث العلمي، بحيث يتيسر لأبناء هذه اللغة ان يعايشوها معايشة كاملة تساعد على تطويعها وتطويرها.

★ إن اللغة العربية قد دللت، في مختلف مراحل تاريخها المديد وبحكم خصائصها، انها لغة حضارة ذات ابعاد انسانية وعالمية، وهي بهذا قادرة على ان تكون لغة العلم الحديث، تدريساً وتأليفاً وبحثاً وتوليداً للمصطلح.

★ إن ما يهدف اليه التعريب هو بالدرجة الاولى توحيد المصطلح العلمي، وتطبيق هذا المصطلح، واستعماله، وتداوله في كل مجالات حياتنا اداء وابلاغا.

★ يعرب المؤتمرون عن ارتياحهم للتقدم الفعلي الذي حققه التعريب حتى الآن في الوطن العربي، وهم إذ يقدرون ما اسهم به العلماء والاختصاصيون العرب، وما قدموا من جهود كبيرة في تعريب فروع كثيرة من فروع المعرفة والعلم، فانهم يؤكدون مرة اخرى على ان جهودهم لا تؤتي ثمراتها كاملة اذا لم تتخذ الأمة العربية قرارها، ومن أعلى مستويات المسؤولية، بإلزام تداول، واستعمال هذه المصطلحات على صعيد الوطن العربي كله، وفي الوقت نفسه بإلزام مؤسسات التعليم العربية كلها بأن يكون التعليم فيها، تأليفا وتدريسا وبحثا، باللغة العربية.

★ يوصي المؤتمر باتباع منهجية للعمل في مشروعات تعريب المصطلحات، وتتناول هذه المنهجية مراحل العمل جميعا في: الإعداد، والدراسة، والاقرار □



جانب من الكتب التي عُرضت أثناء انعقاد المؤتمر .

سُقامُ الابن

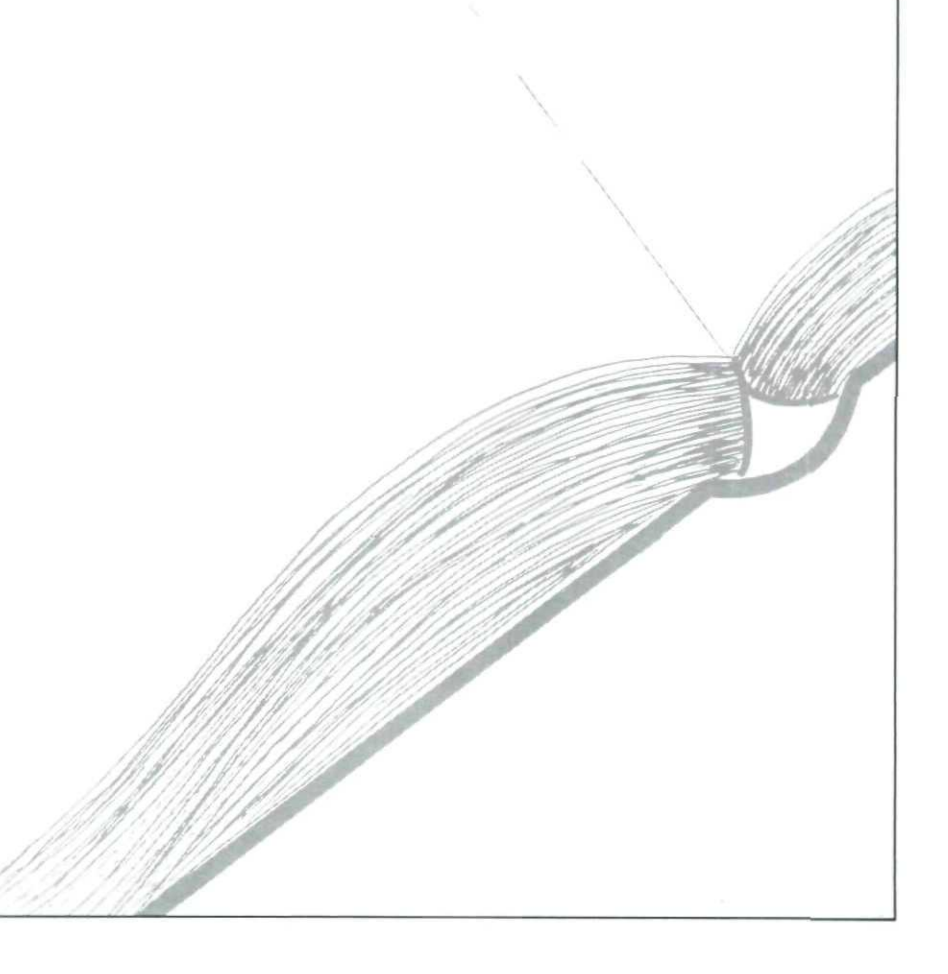
شعر: خالد مصباح مظلوم/ جدة

وَقْفٌ عليك أنا وأمُّكَ ، صـورةٌ   لك في سقامِكَ يا بُنَيَّ وصحّتِـكْ
ما نحن إلا صـورةٌ مِرْهـافـة   لك مثل موجِ البحرِ هاج بنسمتِكْ
فتزيدنـا دمعـاً بساعةِ دمعتِـك   وتزيدنـا فرحـاً بساعةِ فرحتِـكْ
وتزيـد أمَّـك من سقامٍ فـوق مـا   أعطى الزمانُ لها وسائرِ اخوتِـكْ
أنقَضْتَ ظهرَيْنَـا فمـا من حيلـةٍ   أو أي حَيْـل دامَ فيَّ لخدمتِـكْ
وجعلتَنَـا نَدْجَـى ونشرقُ حسبما   أطلقتَ من نـدبٍ وراءَ مسرّتِـكْ
أجريتَ دمـعَ الوالدين جميعَـهُ   جفّفتَ كلَّ دِماهمـا من جمرتِـكْ
يا مَـن صناعتُـه التبسّـمُ والبُكَـا   لم ما اقتصَرْتَ على صناعةِ بسمتِكْ ؟
فقد اكتفى النحلُ المفيدُ بصنعِـهِ   للشَّهـدِ لم ينتِجْ سـواهُ كصنعتِـكْ
غـرّد أيـا طفلـي وهلّلْ وابتسـمْ   واقشع سحابَ الغمِّ ذا عن أسرتِكْ
يكفـي ارتباطـي بالحيـاةِ هشاشـةً   من قلبك الصافي ودِفـقِ أشعّتِـكْ
وغذائـيَ الروحيَّ ـ كيلا تلتظـي   روحي ذبولا ـ أن أراك بنضرتِـكْ
مولايَ ، يا طفلـي المنضّرَ طيبـةً   وبراءةً ... سبحَـانَ بارىء طيبتِـكْ
لا شـيءَ في الدنيَـا يضاهي روعـةً   لرفيقك الحانـي وطفـرةِ همّتِـكْ
يا طفـلُ تفهمُ فـوق ما أنا فاهِـم   ورفعـتَ تحنـاني لذروةِ مُنْيَتِـكْ
نمّيتَ تحنـاني الى أعلـى مـدى   من فيضِ دمعك يا بنيَّ وفرحتِـكْ
إنَّـا شُعَاعُـكَ حيثُ شئتَ بعثتَـهُ   واذا تشـاءُ تُظِلُّنَـا في ظلمتِـكْ
يا طفلـيَ الباكي السقيمَ ، قلوبُنـا   تفديكَ ، فاسعدْنا بعـودةِ صحّتِـكْ

العربية لغة الاعلام

تأليف : د. عبدالعزيز شرف

تحقيق : ياسر الفهد / دمشق



الحديث عن لغة الضاد حديث ممتع وشائق ، ولا سيما بالنسبة لاولئك الذين يعشقون هذه اللغة العريقة، ويتوقون الى رفع مكانتها وتوسيع نطاق انتشارها في العالم.

كما أن الحديث عن الاعلام اصبح اليوم يكتسب جدية متزايدة بعد أن تعاظم دوره واتسعت هيمنته على معظم نشاطات حياتنا المعاصرة.

أما الحديث عن كتاب «العربية لغة الاعلام» فهو يجمع بين الحديثين معا، لأنه يتناول الموضوعين كليهما، موضوع العربية وموضوع الاعلام، ويضعهما على مائدة واحدة، دارسا العلاقة بينهما، كاشفا الصلات التي تربطهما.

صدر هذا الكتاب في شهر فبراير من عام ١٩٨٣ عن دار الرفاعي في الرياض. ويعرف عن هذه الدار اهتمامها باصدار سلاسل كتب هادفة في موضوعات مختلفة كالثقافة العامة والتراث والارشاد الديني والدراسات الادبية والتاريخية وغير ذلك. ونذكر من بين هذه السلاسل سلسلة دراسات في الصحافة

الأدبية، وصدر منها كتاب «الزيات والرسالة»، والسلسلة التراثية، وصدر منها كتاب «التذييل والتذنيب» وسلسلة «كتب في الاعلام»، وقد صدر منها الكتاب الذي بين أيدينا. وهو من تأليف الدكتور عزالدين شرف المعروف بعنايته بدراسة الصلة بين الأدب والاعلام، وكذلك بين اللغة ووسائل الاتصال. ونستدل من الكتب الأخرى التي الفها «فن التحرير الاعلامي» و «المدخل الى وسائل الاعلام» و «التفسير الاعلامي للسيرة النبوية» على سعة درايته بموضوع الاعلام. وقد سبق للمؤلف ان عمل استاذا زائرا للاعلام في جامعتي الازهر والقاهرة. وهذه المعلومات وغيرها مسجلة بخط الكاتب نفسه على الصفحة الخلفية من الغلاف الخارجي. وقد جرت دار الرفاعي للنشر على هذا التقليد الخاص بها والمتمثل بتقديم نبذة موجزة عن حياة المؤلف وسيرته الأدبية والثقافية بقلمه. ويقع الكتاب في ٩٠ صفحة من القطع المتوسط، ويتألف من مقدمة وثلاثة فصول.

يبين الكاتب في مقدمته أهمية الاعلام وتعاظم دوره وضرورة سعي الدول العربية للحاق بركب التقدم الاعلامي الواسع في العصر الحديث. وهو يشعر بالتفاؤل والاعتزاز ازاء اعتزام هذه الدول اطلاق قمر صناعي عربي موحد يقوم بالربط الاذاعي والتلفزيوني بين الاقطار العربية. وسوف تكون اللغة العربية الفصحى هي وسيلة القمر الصناعي الرئيسية. وهذا الامر يحدونا بالطبع الى زيادة العناية بهذه اللغة وتكثيف الجهود الرامية الى حمايتها ودرء الأخطار عنها، وبصورة خاصة محاربة اللهجات العامية المحلية والوقوف لها بالمرصاد. ويربط المؤلف بين ازدهار هذه اللهجات في أوقات معينة، وبين انتعاش الدعوات الاقليمية والانفصالية. وهذا الربط يطلعنا على فداحة الاخطار الكامنة وراء انتشار العامية، ويدعونا الى ادراك الدور القومي للغة العربية الفصحى، وبالتالي احتضانها ورعايتها الرعاية التي تستحقها.

ان دعـاة العاميـة يبشرون بتعـدد اللهجات واستخدامها كلغات مستقلة. وقد تكهن هؤلاء باندثار العربية الفصحى كما اندثرت اللاتينية في اوروبا. ولكن تكهناتهم باءت بالفشل. ويعد الدكتور شرف القمر الصناعي العربي الذي تم اطلاقه في فبراير ١٩٨٥ مناط أمل كبير وموئل رجاء عظيم لأنه سيؤدي في رأيه الى انتعاش الشعور الجماعي العربي ومقاومة الدعوات الاقليمية.

وبعد المقدمة يأتي الفصل الأول من الكتاب ويتضمن سبرا للعلاقة بين اللغة والأجناس الاعلامية الثلاثة، وهي الجنس الصحفي، والجنس الاذاعي، والجنس المرئي الذي يشمل التلفاز والسينما والفيديو. ويتحدث المؤلف في هذا الفصل، أيضا، عن خصائص وسائل الاعلام والتي من بينها اتاحة الوسائل المطبوعة للقارىء فرصة التحكم في وقت القراءة وبإمكان عودته اليها متى شاء، في حين أن هذا غير ممكن بالنسبة للاذاعة والتلفاز. ولكن هاتين الوسيلتين تتفوقان على الصحافة بالقدرة العالية على الاقناع، فالكلمة المسموعة تصل الى جميع فئات الناس، حتى العاجزين منهم على القراءة، وكذلك الكلمة المرئية التي يرفع من درجة تأثيرها في الجماهير تقديمها بطريقة ملموسة وغير مجردة.

ويتعرض المؤلف في الفصل الثاني لوظائف اللغة الثلاث وهي، الوظيفة الاعلامية، المتمثلة بتوصيل المعلومات، والوظيفة التعبيرية، أي التعبير الأدبي والفني والتعبير عن المشاعر، والوظيفة الاقناعية، والمقصود بها اقناع الجمهور بفلسفة أو رأي معين. ويتبع ذلك وجود ثلاثة مستويات للتعبير اللغوي: المستوى التعبيري وهو تذوقي وجمالي، والمستوى الاعلامي، ويرتبط بالجانب العلمي والاجتماعي، والمستوى الاقناعي ويستعمل في الدعاية والترويج للأفكار. ويستشهد الكاتب بآراء «جيفونز» الذي يعتبر اللغة وسيلة للتفاهم وأداة للتفكير وواسطة لتسجيل الأفكار والرجوع اليها.

أما الفصل الثالث من الكتاب، وعنوانه «العربية لغة الاعلام»، وهو أهم فصول الكتاب، فيتناول خصائص لغة الاعلام واختلافها عن اللغات المستخدمة في مجالات أخرى. فاللغة الأدبية مثلا ترتبط بالتذوق الفني الجمالي، ويكثر فيها التنميق اللغوي، بينما تميل اللغة العلمية الى التجريد النظري، أما اللغة الاعلامية، فتقوم على نسق اجتماعي وعملي وعادي. وهذه اللغة لا تخضع للمستلزمات الأدبية أو المستلزمات العلمية وحدها، مثلا، بل لجميع مظاهر النشاط الثقافي من علم وفن وأدب وموسيقى، الى جانب السياسة والتجارة والاقتصاد وغيرها. وهي موجهة الى كافة قواعد الجماهير، على اختلاف مشاربهم وتباين طبقاتهم.

ويرى الكاتب أن اللغة العربيـة الفصحى من أكثر اللغات صلاحية لتكون لغة اعلام، لأن تركيب مفرداتها وعباراتها وقواعدها يتجه الى «النمذجة والتبسيط» وهاتان الخاصتان تعدان من أهم خصائص اللغة الاعلامية. ومن جهة ثانية، هناك في اللغة العربية ترابط بين المدلول الأصلي للفظ، والمعنى المقصود منه «السهل من السهولة — السماء من السمو — القلب من التقلب». وهذا ينطبق حتى على الكلمات الحديثة «السيارة من السير — النظارات من النظر — الجامعة من الجمع بين فروع العلم المختلفة».

ومعظم اللغات الأخرى لا تحتفظ بالمعاني الأصلية للألفاظ التي تطلق على المسميات الجديدة. ومن المميزات الأخرى أن ألفاظ اللغة العربية كثيرا ما تعكس عادات الشعب وتقاليده. وفي هذا يقول العقاد «ليس هناك قوم كالعرب تظهر صفاتهم وصفات أوطانهم من كلماتهم وألفاظهم». هذه المميزات وغيرها تجعل اللغة العربية الفصحى جديرة بأن تكون لغة اعلام. وعلى الرغم من أن العقاد يرى في اللغة العربية لغة شاعرة مبنية على نسق الشعر، فان الدكتور شرف يؤكد على انها، أيضا، لغة اعلامية تقوم على نسق الفن الاعلامي بمفهومه الحديث، ويوضح المؤلف الصفات التي ينبغي أن تتحلى بها لغة الاعلام. ومن بين هذه الصفات الوضوح والاشراف والمرونة والبساطة. والأهم من ذلك كله هو أنه لا بد ان تكون اللغة مفهومة من جميع القراء والمستمعين والمشاهدين. وفي هذا المجال، فان فصاحة اللغة العربية يجب ألا تعني أبدا التعقيد والغموض، لأن الوضوح هو احد اهم اعمدة الفصاحة. ومن السمات الأخرى للغة الاعلام ابتعادها عن فنون التورية

وازدواج المعاني وفنون الأدب الأخرى، وكذلك تماشيها مع تقاليد المجتمع وقيمه ووصولها فورا الى الجماهير.

ومن المهم بالطبع أن تحرص اللغة الاعلامية على السلامة والصحة، وان تتقيد بالقواعد اللغوية. ولحسن الحظ ان اللغة العربية تتمتع بجميع هذه الصفات المطلوبة، فهي لغة حركية مرنة مؤهلة لتكون لغة الحضارة الاعلامية، وهي قادرة على استيعاب منجزات العصر ومصطلحاته. ولكن المؤلف يحذر من الأخطار التي تهدد اللغة العربية وتسيء الى مركزها كلغة اعلامية. من ذلك تسلل بعض التعبيرات الأجنبية الدخيلة اليها، بفعل الترجمة. ويضرب أمثلة على ذلك عبارات «ذر الرماد في العيون ــ اللعب بالنار ــ لا جديد تحت الشمس» وغيرها. وهناك ايضا خطر تسلل بعض الأساليب اللغوية الأجنبية كشيوع استخدام الجمل الاسمية وتناثرها وكأنها وحدات مستقلة. ويدعو المؤلف، كذلك، الى مقاومة الكلمات الدخيلة على اللغة العربية ككلمتي «الراديو والبوسطجي» مثلا ويقابلهما في اللغة العربية السليمة «ساعي البريد والمذياع». ومع ذلك فان الدكتور شرف، على الرغم من قرعه نواقيس التحذير، فانه يشعر بالتفاؤل ويعتقد ان صراع الالفاظ والتعبيرات والمصطلحات سوف يحسم في نهاية الأمر لصالح اللغة العربية. ويجب ألا يحجب تفاؤل المؤلف عن أعين العاملين في حقل اللغة العربية حقيقة ان اتساع حركة الترجمة من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية وانتشارها في أرجاء الوطن العربي كافة يحمل في طياته خطر ازدياد تسلل الكلمات والتعبيرات الدخيلة. ونعتقد ان المعربين يتحملون قسطا كبيرا من العبء في هذا المجال، وعليهم ألا يأخذوا فقط في الحسبان مصالحهم في الترجمة، بل وأيضا مستقبل لغة الضاد وضرورة حمايتها والحفاظ على أصالتها.

ملاحظـات:

بعد أن استعرضنا أهم الخطـوط والأفكار الرئيسية في كتاب «العربية لغة الاعلام»، نستطيع ان نخلص الى الملاحظات التالية:

★ يعد الكتاب مهما لأنه يتناول موضوعين حيويان هما «اللغة العربية» و «الاعلام» ونحن نعلم أن اللغة العربية تتعرض الآن لكثير من التحديات الداخلية والخارجية التي تهدد مستقبلها. كما أنها تواجه حملة من التشكيك المغرض بصلاحيتها لتكون لغة العصر والعلم الحديث. ويقف وراء هذه الحملة الحاقدون وأعداء العروبة والاسلام ودعاة التجزئة.

لذلك فان أي كتاب يدافع عن هذه اللغة انما يشكل لبنة جديدة في صرح الجهود الرامية الى تدعيم لغة الضاد وتعزيز مكانتها. وفي الحقيقة، فان كتاب «العربية لغة الاعلام» يشكل محاولة جادة لاثبات مرونة اللغة العربية وقدرتها على ان تكون لغة الاعلام الحديث الى جانب كونها لغة الأدب والشعر. ومن جهة ثانية فان حظ الكتاب المصداقية العلمية كبير نظرا لأن لصاحبه باعا طويلة في مضمار الاعلام. واكثر من ذلك فإنه متخصص بدراسة الصلة بين اللغة العربية ووسائل الاتصال بالذات وهذا تخصص فريد.

★ يستشهد المؤلف بأقوال عدد كبير من المفكرين الأجانب والعرب ويورد الكثير من آرائهم مما يكسب كتابه قيمة علمية. ومن بين هؤلاء المفكرين على سبيل المثال: «الجاحظ» و «عباس محمود العقاد» و «محمود تيمور» و «جون ديوي» و «ويلبورشرام» وغيرهم.

★ ينطوي الكتاب على بعد جماعي عربي عام، فهو يدعو الى تدعيم اللغة العربية الفصحى ومكافحة اللهجات العامية. فاللغة الفصحى لغة واحدة موحدة يستطيع أن يفهمها جميع أبناء الضاد من المحيط حتى الخليج، أما العامية فانها تنقسم الى لهجات عديدة، وكثير من هذه اللهجات التي تسود بعض المناطق العربية، تعد غير مفهومة بالنسبة لسكان مناطق عربية أخرى. ولا شك أن انتشار مثل هذه اللهجات يعزز المفهوم التجزيئي والانفصالي.

★ يكثر المؤلف من استعمال الأمثلة التوضيحية. وهذه طريقة علمية ممتازة للاثبات والبرهان. وقد استطاع بواسطتها ان يبرهن على ان اللغة العربية، بما تتمتع به من سمات عظيمة، قادرة على الوفاء بجميع مستلزمات العلوم والفنون المختلفة. وهي تستطيع ان تكون لغة الحاضر والمستقبل، كما كانت لغة الماضي. ويستعين المؤلف احيانا بمفردات مصطلحات أجنبية للتوضيح، مما يدل على ان ثقافته اللغوية تشمل اللغات الأجنبية، ايضا.

★ استطاع المؤلف من خلال صفحات قليلة لا تتجاوز التسعين أن يقدم مادة غنية، وأن يغطي موضوعات وافكارا كثيرة. ويعود الفضل في ذلك الى استعماله لغة عربية مكثفة يستخدم فيها أقل عدد من المفردات لتوضيح اكبر عدد من الافكار. وهذه اللغة تتسم بالايجاز مع القدرة على التعبير الغني.

وعلى الرغم من ايجابيات الكتـاب الكثيرة، فانه لا يسعنا أن نبرئه من بعض السلبيات:

★ فهو يورد أحيانا مصطلحات وتعبيرات علمية قد لا يفهمها الا المتخصص في علوم الاتصال، دون ان يقدم شروحاً كافية لها، مفترضاً أن القاريء قادر على استيعابها، مع أن المؤلف نفسه يدعو الى تبسيط اللغة وتيسيرها حتى تصبح مفهومة من قبل الجميع.

★ كرس الكاتب جزءا كبيرا من الكتاب للحديث عن قضايا الاعلام والاتصال ولكنه لم يخصص حيزا مماثلا من الصفحات لموضوع استعمال اللغة العربية في مجال الاعلام. فهذا هو الموضوع الرئيسي في الكتاب، وهو اجدر بالتدقيق والتمحيص، ومع ذلك فان المؤلف لم يفرد له عدداً كافيا من الصفحات.

★ أورد المؤلف في المقدمة فكرة غامضة فذهب الى أن «عصر الطباعة» أدى الى التمزق والتشتت والى تنشيط الدعوات الاقليمية والانفصالية في العالم، ثم جاء العصر الاذاعي فكان أداة توحيد وتجميع. وهذه الفكرة تبدو غامضة وتحتاج الى مزيد من التوضيح، وهي قابلة للجدل. فالمؤلف يوحي بها وكأن للمطبوعات بأنواعها دوراً في التجزئة القومية.

ومهما يكن من أمر، فان ايجابيات الكتاب تطغى بصورة عامة على سلبياته، ويكفي أن المؤلف طرق فيه موضوعا جديدا فريدا هو موضوع العلاقة بين لغة الضاد والاعلام □

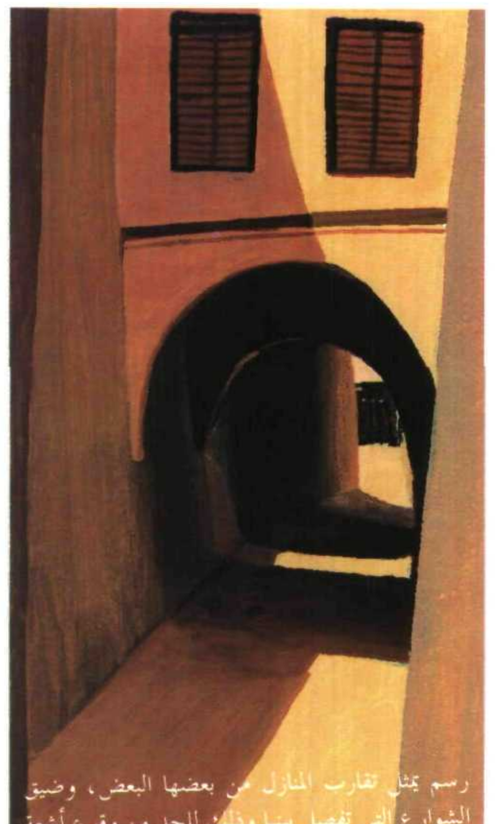
الحفــاظ علـى الطــاقـة

بقلم : د. جاسم محمد الأنصاري / جامعة البترول والمعادن

يدور حديث طويل هذه الايام عن بدائل الطاقة الاحفورية التقليدية كطاقة الرياح والطاقة الشمسية، والطاقة النووية، والطاقة الكامنة في المواد العضوية، وطاقة المد والجزر. وهذه البدائل، تتطلب العديد من الابحاث والدراسات اللازمة لتقييم فعاليتها واستخداماتها في المملكة العربية السعودية.

ان كلمة بديل تعني الاستغناء عن شيء بشيء آخر. ولا يتفق هذا القول مع بدائل الطاقة الاحفورية. فلقد بينت الدراسات التي اجريت حتى وقتنا الحاضر ان هذه البدائل لا تشكل الا نسبة قليلة من اجمالي الطاقة المستهلكة المتوفرة من الطاقة الاحفورية.

وتدل الاحصاءات بأن الطاقة الشمسية وطاقة الرياح في وضعهما الحالي لا يمكن ان توفرا اكثر من ٥ في المائة من الطاقة البترولية المستهلكة. اما الطاقة النووية فيمكنها ان تفي بنسب اعلى، وهذا يتوقف على عدد المحطات المقترحة. ولكن هناك عقبات بيئية واجتماعية واقتصادية تواجه استخدامات الطاقة النووية.



رسم يمثل تقارب المنازل من بعضها البعض، وضيق الشوارع التي تفصل بينها وذلك للحد من وقوع أشعة الشمس على الأزقة.

وفي المملكة العربية السعودية، يعتبر البترول المصدر الرئيسي للطاقة، ولذا فحيثما ورد مصطلح «بترول» في مقالنا هذا فانما يعني الطاقة البترولية. وبالمقابل سيكون مصطلح «مصادر ثانوية» دالا على مصادر الطاقة غير البترولية.

وهنا أود أن أطرح سؤالا، هو: كم من الطاقة البترولية يمكن توفيره بالبرميل اذا استعضنا عن استعمال المصدر الرئيسي للطاقة باستخدامنا للمصادر الثانوية. وللاجابة عن هذا التساؤل يجب النظر في المجالات التي يمكن استخدام المصادر الثانوية للطاقة فيها والتي يمكن تحديدها على النحو التالي:

★ تسخين الماء والتدفئة في المنازل.

★ الزراعة: ضخ المياه من الآبار داخل البيوت الزراعية المظللة والمكيفة.

★ توليد الكهرباء عن طريق الخلايا الشمسية كما هي الحال في قريتي العينية والجبلية.

★ حفظ الاطعمة ... الخ.

غير انه يمكننا القول ان استعمال المصادر الثانوية في المملكة في المجالات الآنفة الذكر يكاد لا يذكر، ان لم يكن معدوما. فلو نظرنا الى كمية البترول المستخدمة في قطاع الكهرباء في المنازل والمتاجر والمكاتب لوجدنا ان المملكة قد استهلكت ما يعادل ٦٥٠٠٠٠٠٠ برميل من البترول خلال سنة ١٩٨٠، وهذا يشكل ٢٠ في المائة من كمية البترول المستهلكة في المملكة في جميع القطاعات، وهذه الاعداد ستتضاعف في سنة ١٩٩٠م.

ولو نظرنا ايضا الى الطاقة المستهلكة في توليد الكهرباء والتي تعادل ٦٥٠٠٠٠٠٠ برميل من البترول أو ضعف ذلك لسنة ١٩٩٠، لوجدنا ان الكهرباء المستخدمة في المنازل تشكل النسبة العظمى من الطاقة الكهربائية المستهلكة.

ان هذه الكمية الكبيرة من البترول المستخدمة في قطاع الكهرباء وبالتحديد في الاغراض المنزلية، تبعث على التساؤل: هل يمكن التقليل من هذه الكمية؟ وكيف يمكن التقليل منها والمملكة تشهد تطورا معماريا هائلا يزداد يوما بعد يوم! ان الجواب يتركز بايجاد مصدر جديد للطاقة للتعويض عن جزء من الطاقة الكهربائية المتولدة عن طريق البترول.

وبالفعل يوجد مصدر للطاقة يتراوح مردوده بين ٢٥ و ٥٠ في المائة من الطاقة المستهلكة في المباني. وهذا المصدر هو كمية الطاقة غير المستهلكة نتيجة تطبيق ما يعرف بالحفاظ على الطاقة. فالحفاظ على الطاقة هو استخدام الطاقة لسد احتياج الفرد منها لاستيفاء متطلباته من انارة وتكييف وطهو وحفظ الاطعمة وتشغيل الاجهزة المنزلية .. الخ. من غير الاسراف فيها. وهذا يعني ان موضوع الحفاظ على الطاقة يوفر للفرد متطلباته من الطاقة وفي الوقت نفسه يرشده الى حسن استعمالاتها وبذل الجهد على عدم تبذير أي جزء منها.

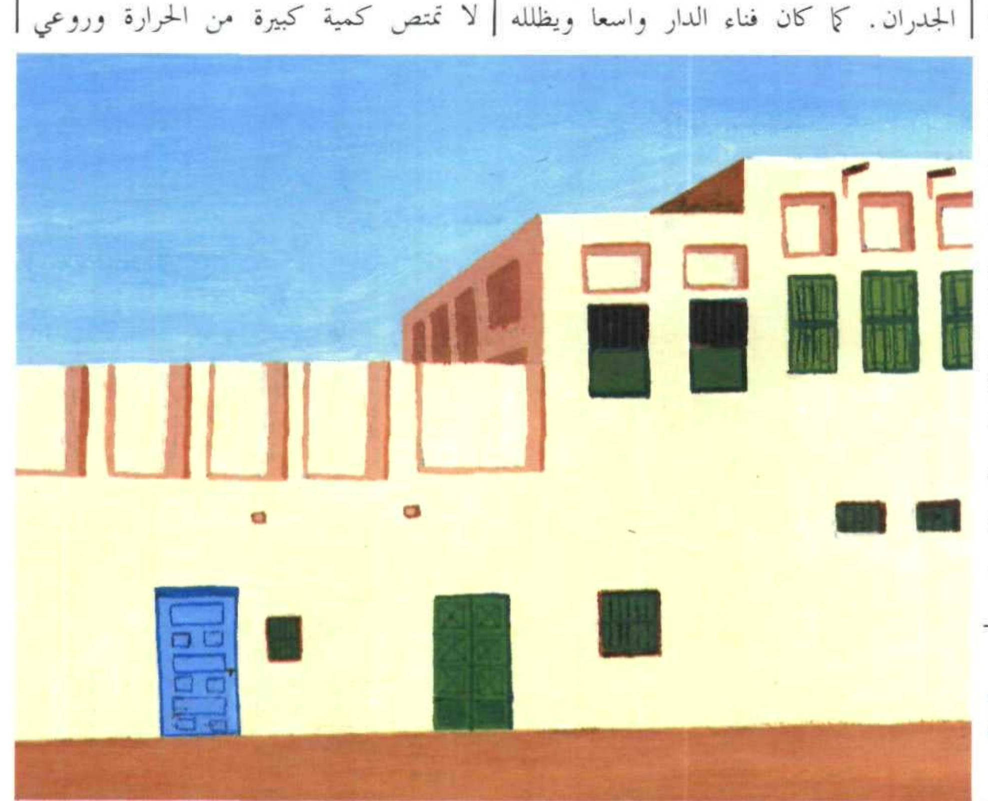
ان هناك عوامل يجب النظر فيها لتقرير مسببات التبذير في استخدام الطاقة. وهذه العوامل عديدة جدا وسوف نتطرق اليها بصورة واضحة للارشاد في كيفية الحفاظ عليها. واود هنا ان اعطي القارىء نبذة عن الطابع المعماري القديم.

قبل عصر البترول، تكيف الفرد مع البيئة المناخية على نحو مكنه من تحمل ظروف الطقس في المملكة دون الحاجة الى وسائل التكييف الميكانيكية. فبنى الفرد منزلا له للتقليل من حرارة الصيف اللافحة باستخدام وسائل يمكن تحليلها وتفسيرها هندسيا وعلميا.

في الجزء الشرقي من المملكة، كانت المنازل تبنى بحيث يكون اتجاه النوافذ دائما في اتجاه البحر لاستقبال هواء البحر البارد نسبيا في فصل الصيف. وكانت المواد المستخدمة هي الجبس او (الجص) والاحجار المسامية، وهي ذات فراغات هوائية تساعد على التقليل من الكسوب الحرارية التي كانت تعرف بالفروش او الفرش من قاع الخليج وكانت مادة الجير او ما تسمى (بالنورة) تطلى بها المنازل وهي مادة ناصعة البياض. ومما يعرف ان اللون الابيض هو اللون الامثل لعكس اشعة الشمس وبالتالي تقليل نسبة الحرارة المختزنة في الجدران. كما كان فناء الدار واسعا ويظلله العريش بحيث امكن للفرد الجلوس والنوم فيه خلال ساعات النهار. (انظر الصورة رقم ١)

وكانت الابراج الهوائية تستخدم لعملية التهوية في المنازل. وكانت هذه المنازل تبنى متقاربة بحيث لا تفصلها الشوارع الفسيحة بل ازقة ضيقة تعرف «بالدواعيس»، وكانت هذه الازقة مظللة معظم الوقت، وتصب عادة في شوارع اكثر اتساعا، كما كانت تعمل على تجميع الهواء البارد نسبيا. وهذا يعني ان البيئة السكنية اصبحت ملائمة لراحة الساكنين. (انظر الصورة رقم ٢). وفي الجزء الاوسط من المملكة، كانت مواد البناء تشمل الطين والقش بصفة رئيسية، وكانت الاسقف والجدران سميكة وذلك لحد التذبذبات المتولدة عن الكسوب الحرارية، وكانت النوافذ صغيرة والمنازل قريبة من بعضها تفصلها ازقة ضيقة تنتهي بدورها الى شوارع اكثر اتساعا. (انظر الصورة رقم ٣).

وبالنسبة للتصميم المعماري في المنطقة الغربية والمناطق الساحلية من المملكة بصفة عامة، لم يكن يختلف كثيرا عن التصميم المتبع في الجزء الشرقي من المملكة (انظر الصورة رقم ٤). كما كانت المواد المستخدمة في البناء مواد محلية روعي فيها انها لا تمتص كمية كبيرة من الحرارة وروعي



رسم يمثل الطابع المعماري القديم للمنازل في المنطقة الشرقية وبالذات في المناطق الساحلية. ويلاحظ فيه كثرة النوافذ ووضعها في اتجاه البحر.

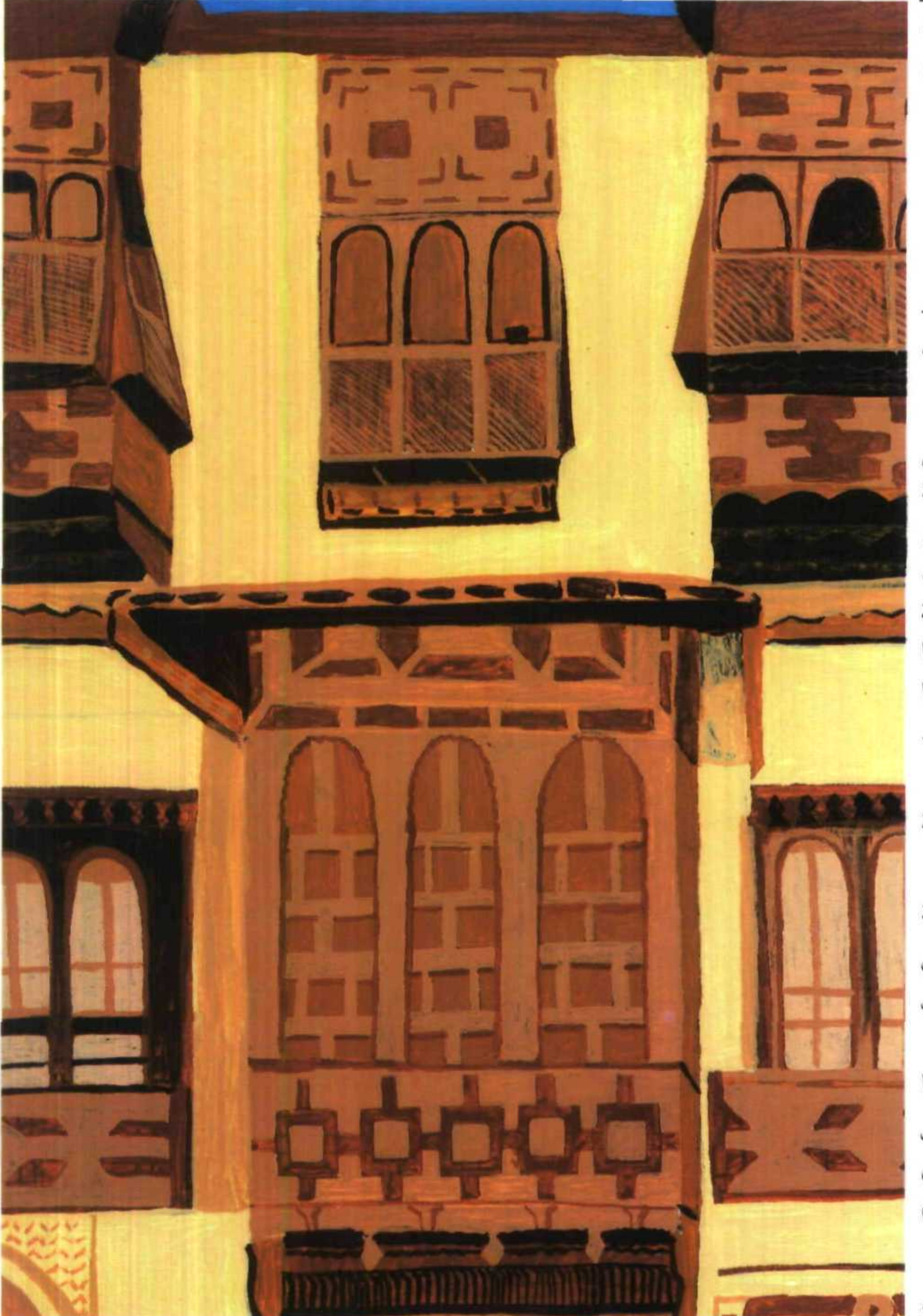
كذلك عزلها وطليها بمواد تقلل من كمية الحرارة الساقطة عليها. ومن هنا نستنتج ان هناك عوامل رئيسية روعي فيها ما يلي:

* المواد المستخدمة في البناء.
* التظليل سواء بين المنازل او داخلها.
* استخدام النوافذ والابواب المناسبة.
* جعل نوافذ المنزل في اتجاه «شمال — جنوب» وليس «شرق — غرب» وذلك للتقليل من حدة الاشعة الشمسية المباشرة.

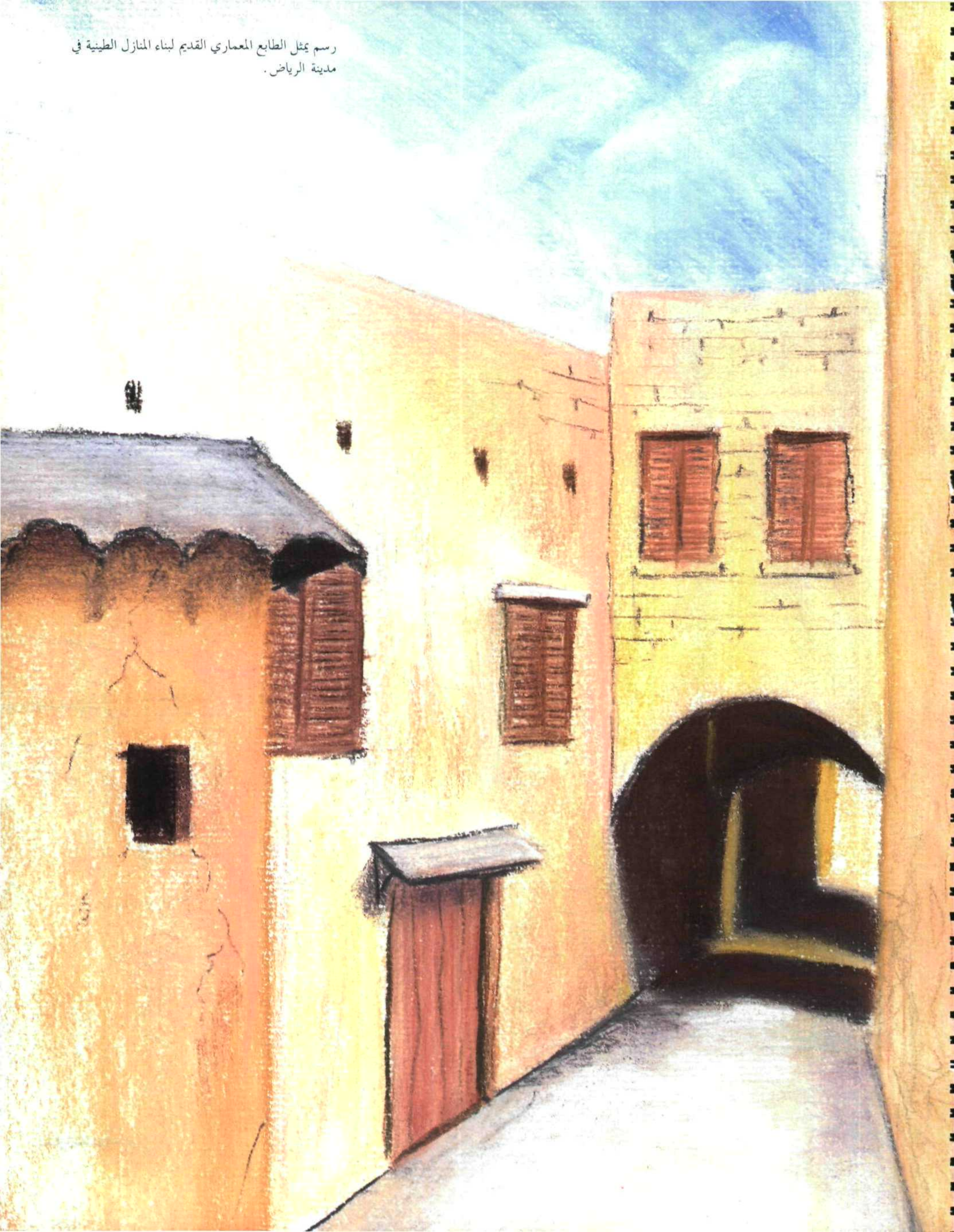
لقد بنى الانسان هذه الميزات على اساس سد احتياجه، ولكن العوامل السابقة ينظر لها الآن على انها تؤدي دورا فعالا في برنامج الحفاظ على الطاقة. ومما يذكر ان العوامل السابقة الذكر تخضع لقوانين هندسية يقوم الباحثون في الوقت الحاضر بدراستها ووضع التصاميم الرئيسية للمباني على اساسها غير ان هناك عوامل اخرى تساعد في الحفاظ على الطاقة وهي:

* مساحة الغرف بصفة خاصة ومساحة المنزل بصفة عامة.
* الانارة: مراعاة اختيار الانوار المناسبة بحيث تعطي الضوء الكافي وتقلل من كمية الحرارة المشعة من مصدر الضوء.
* الزراعة: تظليل المنزل من الخارج مما يؤدي الى حجب كمية من الاشعة الشمسية المباشرة على هذه الجدران ومن ثم عدم ارتفاع درجة الحرارة.
* الالوان الخارجية المستخدمة في المنازل يجب ان تكون فاتحة ويحبذ اللون الابيض حيث ان كمية الحرارة الممتصة تعادل حوالي ٢٠ في المائة. بينما تزداد في الالوان الداكنة حتى تصل الى حوالي ٨٠ في المائة ولا سيما في اللون الاسود.
* اختيار اجهزة التكييف الملائمة بحيث تطابق الحمل المطلوب من غير الاسراف في وضع اجهزة اكبر بحيث تستهلك كمية اكبر من الكهرباء. كذلك توزيع الهواء المكيف على ان يراعى فيه سهولة التحكم بحيث يمكن التقليل منه في الغرف غير المأهولة، وتوجيه الكمية العظمى للغرف المستخدمة.
* سد جميع الثغرات والفتحات بين النوافذ والابواب واجهزة التكييف بمواد عازلة لمنع تسرب الهواء المكيف او دخول الهواء الخارجي غير الملائم.

وبعد فان العوامل الآنفة الذكر، تؤدي ولا شك، الى تحقيق مردودين احدهما شخصي والآخر وطني. فالمردود الشخصي يرجع الى مبلغ الريالات التي يمكن للفرد توفيرها بسبب عدم الاسراف في الكهرباء. واما المردود الوطني، وهذا يتمثل بأن استهلاك البترول للأغراض المنزلية سيتناقص حجمه وبالتالي يمكن الاستفادة منه في جلب اشياء اخرى تعود على الوطن بالنفع والفائدة □



نموذج لبناء منزل قديم في المنطقة الغربية وعلى وجه التحديد في المناطق الساحلية. ويلاحظ عليه كثرة الرواشن التي تساعد على التهوية.


رسم يمثل الطابع المعماري القديم لبناء المنازل الطينية في مدينة الرياض.

راجع مقال: «روائع الفنون الشرقية في العيون الغربية»

